الدِّيوانُ الثَّاني

الأَسْرار وَالرُّمُوز

أَسْرارُ إِثْباتِ الذَّاتِ وَرُمُوزُ نَفْيِ الذَّاتِ

أسرار خودي ورموز بيخودي

نَقَلَهُ إِلَى العَرَبِيَّةِ شِعْرًا

الدكتور عبد الوهّاب عزّام

وہ حرفِ راز کہ مجھ کو سکھا گیا ہے جنوں
خدا مجھے نفسِ جبرئیل دے تو کہوں

يُعتبر هذا الديوان من باكورة دواوين محمد إقبال ، فيه القصائد حول الفلسفة الإسلاميَّة . في زمان الحرب العالمية الأولى كان إقبال ينظر إلى الجيش التركي نظرة الأمل إلّا أنَّه حين أخذ الإنجليز يعملون على الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر من الترك تحطَّمت آماله ، وحينئذٍ ظهرت في أفكاره ثورةٌ عارمةٌ تعارض أشدَّ المعارضة فكرة الاعتماد على أهل الغرب ، والوثوق بهم ، فبدأ يعمل على بناء فلسفةٍ حديثةٍ تؤدِّي إلى التوفيق في الحياة على أساس تربية الجيل الجديد ، وتقوية الذات . ولم ير محمد إقبال أيَّة فائدةٍ للتُّرك من مساعدة قوة الحكومة الألمانية ، فبنى نظرته إلى التصوّف ، ليس على أساس روح الضعف والسلبية ، وهو ما انتشر في العهد الصفوي ، بل دعا إلى القوَّة ، والاعتماد على النفس[1] ولم يقنط محمد إقبال بل كرَّس حياته للعمل على الوصول إلى حيث يمكن السبب في حدوث أخطائنا السابقة ، وقد وجد أنَّ مردَّ هذا إلى الآراء الإغريقية الَّتي تغلغلت في عالم الفكر والثقافة بين المسلمين ، وأضحت سبب كلّ ما عقب ذلك من انحرافه . وقد كان من نتيجة تأثير الإغريق على الإسلام أن تحوَّل هذا الدين من الإيجابيَّة الدافقة إلى عقيدة مستسلمةٍ تأمليَّةٍ ، الأمر الّذي أدَّى بدوره إلى حالة من التشاؤم والقدرية ، وقد ندَّد بأفلاطون ، وشنَّ حملةً على الصوفيَّة الّتي عدَّها مسؤولة عن فكرة « وحدة الوجود » ، وقد أدَّى البحث بإقبال إلى نظريته عن « خودي » أي « الذات » وهو يبدؤها بالأبيات التالية الّتي اقتبسها من مولانا جلال الدين الرُّومي[2] : « رأيتُ البارحة شيخاً يدور حول المدينة ، وقد حمل مشعلاً ، كأنه يبحث عن شيءٍ ، قلت له : يا سيدي! تبحث

---

(١) « إقبال إيرانيون كي نظر مين » لسر عبد القادر ص(١٨١) .

(٢) من محاضرة الأستاذ سجاد حيدر سفير باكستان في مصر ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦٧ مأخوذ عن « إقبال وديوان أرمغان حجاز » للأستاذ سير عبد الحميد إبراهيم .

عن ماذا ؟ قال : قد مللت معاشرة السباع والدَّواب ، وضقت بها ذرعاً ، وخرجتُ أبحث عن إنسانٍ في هذا العالم ، لقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالىٰ والأقزام الّذين أجدهم حولي ، فخرجت أبحث عن عملاقٍ من الرجال ، وبطلٍ من الأبطال ، يملأ عيني برجولته وشخصيته ، ويروِّح نفسي ، قلتُ له : لقد غرتك نفسك يا هذا ! فخرجت تقتنص العنقاء ، بالله ! لا تتعب نفسك ، وارجع أدراجك ، فقد أجهدت نفسي ، وأنفيت ركابي ، ونقبت في البلاد ، فلم أر لهذا الكائن عيناً ولا أثراً ، قال الشيخ : إليك عنِّي ، أيها الرجل! فأحبُّ شيء إلى نفسي ، أعزُّه وجوداً ، وأبعده منالاً »[1] . وقد ركَّز محمَّد إقبال كلامه في هذا الديوان على الذات التّي يرتكز فيها كلُّ النشاط ، وكلُّ الحركة ، والّتي هي لبُّ الشخصية ؛ أي « قلب » الذات .

أراد محمد إقبال باصطلاح « خودي » رموز الذَّات ، ووجود الفرد ، ليشير إلى المركز المدرك والنشيط للوعي والحياة ، وهو الّذي في نظره يؤلّف الوجود الأساسي لذات الإنسان بصورةٍ جازمة . وبالأحرى يرفض الأثرة ، ويوجب على المرء أن يرتقي إلى الدرجات العليا ، والكمال .

يعتقد محمد إقبال بأنَّ أخلاق الفرد والأمة تحدِّد الإجابة عن السؤال : ما هي طبيعة الذات ؟ وهذا التأكيد مطلوبٌ إلى ما يوازن بين الفكر الشرقي والرُّوحانيَّة ، ويؤكّد التقاء وجهات النظر التي ترتقي بها الكينونة الذاتيَّة فوق جميع المستويات الخادعة والواهمة .

يعتبر محمد إقبال أنَّ الاستسلام للجبرية هو الَّذي سبب انحطاط المسلمين ، على الرَّغم من قيمهم الدِّينية والرفيعة ، وأمجادهم السياسية خلال القرون المنصرمة .

---

(١) « روائع إقبال » للعلاَّمة أبي الحسن النَّدوي ص٨٥ ـ ٨٦ .

محتوى الديوان

يشتمل هذا الديوان أولًا على المقدمة المنظومة ، يبيّن فيها محمَّد إقبال مذهبه الجديد ، يقول في مطلعها :

قطع الصبحُ على اللَّيل السفر فهمىٰ دمعي على خدِّ الزهر
غسل الدمع سبات النَّرجس وصحا العشب بمسرى نفسي
جرَّب الفارس قولي موقدا مصرعاً ألقى وسيفاً حصدا

ويشير إلى أنَّ الرومي هو الّذي أيقظه ، ودعاه إلى أن يسلك سبيله :

صيَّر الروميُّ طيني جوهرا مِنْ غباري شاد كوناً آخرا

فصول الدّيوان :

١ ـ أصل نظام العالم من الذَّاتية واستمرار أعيان الوجود متوقف على استحكام الذَّاتية .

٢ ـ حياة الذَّاتية بتخليق المقاصد وتوليدها .

٣ ـ تستحكم الذَّاتية بالمحبة والعشق .

٤ ـ ضعف الذاتية بالسؤال .

٥ ـ إذا استحكمت الذاتية بالمحبَّة والعشق سخَّرت قوى العالم الظاهرة والباطنة .

٦ ـ حكاية في معنى أنَّ مسألة نفس الذاتية من مخترعات الأقوام المغلوبة ؛ لتضعف أخلاق الأمم الغالبة عن طريق خفية .

٧ ـ في معنى أنَّ أفلاطون اليونانيَّ ـ الّذي أثر كثيراً في أفكار الأمم الإسلامية وآدابها ـ ذهب مذهب الغنم ، والاحتراز من خيالاته واجب .

٨ ـ حقيقة إصلاح الشعر والآداب الإسلاميَّة .

٩ ـ تربية الذات لها ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : الطَّاعة .

الثانية : ضبط النفس .

الثالثة : النيابة الإلهية .

وفي هذا الفصل يقصُّ قصصاً حقيقية ، أو خيالية لتصوير مذهبه .

١٠ ـ في بيان أنَّ مقصد حياة المسلم إعلاء كلمة الله ، وأنَّ الجهاد إن كان الباعث عليه « جوع الأرض » فهو حرام في شريعة الإسلام .

١١ ـ نصيحة ميرنجاة النقشبندي المسمى الأدب الصحراوي التي كتبها لمسلمي الهند .

١٢ ـ الوقت سيف .

١٣ ـ دعاء « ويختم به المنظومة »[١] .

نشر هذا الديوان سنة ١٩١٥م ، فثار الناس لها بين راضٍ وساخطٍ ومستحسنٍ ومستنكرٍ ، بل بين مصفِّقٍ طرباً يثني معجباً ، وصائحٍ يتعجَّب ويستنكر .

نقله إلى العربية شعراً الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام . وهاهو الآن بين أيديكم مع مقدمة الشاعر القيمة التي كتبها لهذا الديوان .

* * *

---

(١) إقبال . . للدكتور عبد الوهاب عزام ص١٠٣ .

خلاصة المقدمة التي كتبها
محمد إقبال لهذا الديوان (أسرار خودي)

ما هذا الشيء الذي نسميه (أنا) أو (خودي) أو (مين)[1] الذي يبدو في أعماله ويخفى في حقيقته ، والذي يخلُق كلَّ المشاهدات ، ولكن لطافته لا تحتمل المشاهدة ؟ أهو حقيقةٌ دائمةٌ ، أم أنَّ الحياة تجلَّت في هذا الخيال الخادع ، وهذا الكذب النافع ، تجلِّياً عرضيّاً لتحقيق مقاصدها العملية الراهنة ؟

إنَّ سيرة الأفراد والجماعات موقوفةٌ على جواب هذا السؤال . ولكن جواب هذا السؤال لا يتوقف على المقدرة الفكرية في الآحاد والجماعات ، كما يتوقف على طباعها وفطرتها . فأمم الشرق المتفلسفة أميل إلى أن تعتبر (أنا) في الإنسان من خِداع الخيال . وهي تعدُّ الخلاص من هذا الغُلِّ نجاةً ، وميلُ أهل الغرب إلى العمل ، ساقهم إلى ما يلائم طباعهم في هذا البحث .

ويمضي إقبال في مقدمته قائلاً :

اختلطت في عقول الهنادك وقلوبهم ، النظريات والعمليات اختلاطاً عجيباً . ودقَّق حكماؤهم في حقيقة العمل ، وانتهوا إلى هذه النتيجة : إنَّ حياة (أنا) المسلسلة ، وهي أصل المصائب والآلام ، تنشأ من العمل ، وإنَّ حالة النفس الإنسانية نتيجةٌ محتومةٌ لأعمالها .

وكانت رسالة الإسلام في غربي آسيا دعوةً إلى العمل بليغةً ، فالإسلام يرى أن (أنا) مخلوقٌ ينال الخلودَ بالعمل ، ولكنَّ تشابهاً عجيباً في تاريخ الفكر الهندي والإسلامي يظهر في بحث هذه المسألة . فالفكر التي فسّر بها شنكر

---

(١) مين بالأردية معناها : أنا .

أجاريه ، كتاب الجيتا (گيتا) هي الفكرة التي فسر بها القرآن محيي الدين بن عربي الأندلسي . وكان له أثرٌ بليغٌ في عقول المسلمين وقلوبهم . جعل ابن عربي بعلمه ومكانته مسألة وحدة الوجود عنصراً في الفكر الإسلاميّ . واقتفى أثره أوحد الدين الكرماني ، وفخر الدين العراقي ، حتى اصطبغ بهذه الصبغة كلُّ شعراء العجم في القرن السادس الهجري .

خاطبَ فلاسفةُ الهند العقل في إثبات وحدة الوجود . وخاطب شعراء إيران القلب ، فكانوا أشدَّ خطراً وأكثر تأثيراً ، حتى أشاعوا بدقائقهم الشعرية هذه المسألة بين العامَّة ، فسلبوا الأمَّة الإسلامية الرغبة في العمل .

وتمتاز أمم الغرب بين أمم العالم بميلها إلى العمل ، فآراؤهم خيرُ دليل لأمم المشرق إلى فهم أسرار الحياة .

وبدأت الفلسفة الجديدة في الغرب من وحدة الوجود التي دعا إليها الفيلسوف الهولندي الإسرائيلي[1] ولكن مسحة العمل غلبت على طبائع الغرب . فلم يلبث طويلاً طلسم وحدة الوجود التي أُثبتتْ بأدلة رياضية . سبق الألمان إلى إثبات حقيقة (أنا) الإنسانية المستقلة ، ثم تحرَّر من هذا الطلسم الخيالي فلاسفة الغرب على مرِّ الزمان ، ولا سيما فلاسفة الإنكليز .

ويختم إقبال بقوله :

هذه خلاصة تاريخ المسألة التي هي موضوع هذه المنظومة . وقد اجتهدت أن أحرِّر هذه المسألة الدقيقة من تعقيد الأدلَّة الفلسفيَّة ، وألوانها بألوان الخيال ؛ ليتيسر إدراك حقيقتها .

ولم أقصد بهذه الديباجة إلى تفسير هذه المنظومة . ولكن أردت أن أدلَّ على الطريق من لم يُسلِّم من قبل بدقائق هذه المسألة العسيرة .

---

(١) يعني : اسبنوزا .

ولا ينبغي هنا أن أتناول هذه المنظومة من حيث الشعر ، فإنما خيال الشعر فيها وسيلةٌ إلى توجيه الناس إلى هذه الحقيقة :

إنَّ لذة الحياة مرتبطة باستقلال (أنا) وبإثباتها ، وإحكامها ، وتوسيعها . وهذه الدقيقة تمهد إلى فهم حقيقة « الحياة بعد الموت » .

وينبغي أن يعلم القرَّاء أنَّ لفظ « خودي » لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأَثَرة ، كما تستعمل في اللغة الأرديّة غالباً ، إنما معناها الإحساس بالنفس ، أو تعيين الذَّات .

وهي بهذا المعنى في كلمة « بيخودي » كذلك .

خلاصة مقال الشاعر
إلى الأستاذ نكلسون

مذهب الأستاذ بريدلي أنَّ كلَّ مركزٍ للشعور محدودٌ ، أي : كلُّ ذاتٍ مفردةٍ خداعُ نظرٍ باطل . وأنا أقول ، على خلاف هذا : إنَّ مركز الشعور المحدود الذي لا يُدْرَك (الذات) هو حقيقة الكائنات . فالذات حقٌّ لا باطل .

الحياة كلُّها فردية ، وليس للحياة الكلية وجود خارجي . وحيثما تجلَّت الحياة تجلَّت في شخصٍ ، أو فردٍ ، أو شيءٍ . والخالقُ كذلك فرد ؛ ولكنَّه أوحدٌ لا مثل له .

وظاهرٌ أنَّ هذا التصوُّر للكائنات يخالف كلَّ المخالفة ما ذهب إليه شراح فلسفة هيكل من محدثي الإنكليز ، ويخالف أصحاب وحدة الوجود الذين يرون أن مقصد حياة الإنسان ، أن يُفْني نفسه في الحياة المطلقة أو (أنا) المطلق ، كما تفنىٰ القطرة في البحر .

أرى أنَّ هدف الإنسان الدِّيني والأخلاقي إثباتُ ذاته لا نفيها ، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا الهدف .

قال الرسول ﷺ : « **تخلقوا بأخلاق الله** » فكلَّما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فرداً بغير مثيل .

وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق ، والإنسانُ الكامل هو الأقرب إلى الله ، ولكن ليس القصد من هذا القرب ، أن يُفني وجوده في وجود الله . كما تقول فلسفة الإشراق ، بل هو ، على عكس هذا ، يُمثِّل الخالق في نفسه .

الحياة رقيٌّ مستمر ، تسخِّر كلَّ الصِّعاب التي تعترض طريقها ، وحقيقتُها أن تخلُق دائماً مطالبَ ومُثُلاً جديدةً ، وقد خَلقتْ من أجل اتساعها وترقيها آلاتٍ كالحواسّ الخمس ، والقوة المدركة ؛ لتقهر بها العقبات والمشقَّات .

وأشدُّ العقبات في سبيل الحياة المادَّةُ أو الطبيعة ، ولكنَّ المادة ليست شرّاً كما يقول حكماء الإشراق ، بل هي تُعينُ الذات على الرقي ، فإنَّ قُوى الذَّات الخفية تتجلَّى في مصادمة هذه العقبات .

وإذا قَهرت الذاتُ كلَّ الصعاب التي في طريقها بلغت منزلة الاختيار . الذاتُ نفسها فيها اختيار وجبر ، ولكنَّها إذا قاربت الذاتَ المطلقة نالت الحرية الكاملة . والحياةُ جهادٌ لتحصيل الاختيار . ومقصدُ الذات أن تبلغ الاختيارَ بجهادها .

دوام الذات أو الشخصية :

مركز حياة الإنسان ذات (خودي) أو شخص ، أعني : أنَّ الحياة حينما تتجلَّى في الإنسان تسمَّى ذاتاً .

وشخصية الإنسان من الوجهة النفسانية حالٌ من التوتر ، ودوام الشخصية موقوفٌ على هذه الحال . فإن زالت هذه الحال عقبتها حالٌ من الاسترخاء مضرَّةٌ بالذات . فإن يكن في حالة التوتر هذه كمال الإنسان فأول فرضٍ عليه أن يعمل لدوام هذه الحال ، والحيلولة دون حال الاسترخاء .

وكلُّ ما يُمكِّننا من إدامة حال التوتر يمكِّننا من الخلود .

وهذا التصور للشخصية يقوم معياراً لِقيَم الأشياء أعني : أنَّ في ذاتنا معيار الحسن والقبح . وبهذه تُحلُّ مسألة الخير والشر ، فما يقوّي الذات خير وما يُضعفها شر . ويجب أن يقوّم الدين والأخلاق والفنون بهذا المعيار أيضاً .

واعتراضي على أفلاطون ، هو في أصله اعتراضٌ على كل النظم الفلسفية التي تقصد إلى الفناء ، لا البقاء ، والتي تُغفل المادة ، وهي أكبر العقبات في سبيل الحياة ، وتدعو إلى الفرار منها ، لا إلى تسخيرها ، والتسلط عليها .

وكما تَعرِض مسألة المادة في مبحث حرية الذات ، تعرض مسألة الزمان في مبحث خلودها .

يقول برجسون : إنَّ الزمان ليس خطّاً ممتداً إلى غير نهايةٍ يتحتَّم علينا المرور به . هذا التصوُّر للزَّمان غيرُ صحيح ، فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصوُّر الطول ؛ أي : لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار .

إنَّ خلود الذات أملٌ ، من أراد أن يظفر به فليجدَّ ، ويدأب لبلوغه ، والظفرُ به موقوفٌ على أن نسلك طريقاً للفكر والعمل في هذه الحياة يعيننا على حفظ حالة التوتر ، ولا يستطيع إبلاغَنا هذا الأمل دين بوذا ، والتصوُّف العجمي ، وما إلى هذين من نظم الأخلاق الأخرى . لقد أضرت بنا هذه الطرق ، فأضرعتنا وأنامتنا . إنَّ هذه المذاهب هي الليالي في أيام حياتنا .

تربية الذات :

لا ريب أنَّ الذات تستحكم بالعشق . ومفهوم العشق هنا واسع جدّاً . ومعناه إرادة الجذب والتَّسخير . وأعلى أشكاله أن يخلُق مقاصده ويجدَّ في نيلها . وخاصةُ العشق إفراد العاشق والمعشوق ، أعني : إظهار الانفراد ، والاستقلال فيهما . وإذا جدَّ الطالب في طلب الأوحد الأسمَى ظهر فيه التوحُّد ، ويتحقَّق ضمناً توحُّد المطلوب ؛ لأنه إن لم يكن واحداً مستقلاً بنفسه لم يسكُن الطالب إليه . إنما يمكن عشقُ شخصٍ ، أو وجود معين . ولا

يمكن لشخص عشقُ كائن غيرِ مشخص .

وكما تستحكم الذات بالعشق تضعف بالسؤال . وكل ما ينال بغير جهد يعدُّ سؤالًا ، فالذي يرث مال غيره سائل ، والذي يتَّبع أفكار غيره ، أو يدَّعيها لنفسه سائل .

والخلاصة : أنَّه ينبغي لأجل إحكام الذات أن نخلق في أنفسنا العشق ، ونتجنب كلَّ ضروب الاستجداء (أي البطالة) .

إنَّ في حياة الرسول ﷺ أسوةً حسنةً للمسلم ، فقد كانت حياته خيرَ مثلٍ للسعي الدائم . لقد كانت حياته كلُّها صورةً للعمل .

أشرتُ في فصول من هذا المثنوي إلى أصول فلسفة الأخلاق الإسلامية ، وبيَّنت أنَّ لكمال الذات ثلاث مراحل :

١ ـ إطاعة القانون الإلهي .

٢ ـ وضبط النفس .

٣ ـ والنيابة الإلهية .

والنيابة الإلهية في هذ الدنيا هي أعلى درجات الرقيِّ الإنسانيِّ . ونائب الحق (الله) خليفة الله في الأرض ، وهو أكمل ذات تطمح إليها الإنسانية ، وهو معراج الحياة الروحي .

وأول شرطٍ لظهور نائب الحق أن ترقى الإنسانية في جانبيها الروحيِّ والجسميِّ ، فإنَّ ارتقاء الإنسانية يقتضي ظهور أمَّةٍ مثاليةٍ يتجلَّى في أفرادها في الجملة هذا التوحُّد الذَّاتي ، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق .

فمعنى سلطان الله في الأرض : أن تقوم فيها جماعةٌ شوريَّةٌ يتوحَّد أفرادها ، ويقوم على هذه الجماعة واحدٌ يمكن أن يسمى نائب الحق ، أو الإنسان الكامل ، وهذا الإنسان الكامل يبلغ ذروة الكمال ؛ التي لا تتصوَّر فوقها ذروة .

وقد رأى نتشة (الفيلسوف الألماني المعروف) ضرورة ظهور هذه الأمة

المثالية ، ولكن دهريته ، وإعجابه بالسلطان مسخا فلسفته كلها » إهـ .

هذه خلاصة رسالة إقبال إلى الأستاذ نكلسون . وحسبنا في إيضاح مذهبه ما قدَّمنا من تلخيص رسائله ، ومقدمته لأسرار الذات ، ورسالته إلى نكلسون .

* * *

مَیں، کہ مری غزل میں ہے آتشِ رفتہ کا سراغ
میری تمام سرگذشت کھوئے ہوؤں کی جستجو!

القسم الأول

أسرار إثبات الذّات

(أسرار خودي)

رأيتُ الشَّيخ بالمصباحِ يسعى ... لـه فـي كـلِّ نـاحيـةٍ مجـال
يقول : مَللتُ أنعاماً وبَهْماً ... وإنساناً أريد ، فهل يُنال ؟
برمتُ برُفقةٍ خارت قواها ... برسْتُمْ أو بحيدرِ اندمال[1]
فقلنا : ذا مُحالٌ . قد بحثنا ... فقال : ومُنيتي هذا المحال

(مولانا جلال الدين الرومي)

---

(١) حيدر : عليُّ بن أبي طالب ، ورستم : من أبطال الفرس .

اُٹھ کہ خورشید کا سامانِ سفر تازہ کریں
نفسِ سوختۂ شام و سحر تازہ کریں

تمهيد

« ليس في أعواد غابي سقَطٌ هي للمنبر أو أعواد صَلْب »[1]

نظيري النيسابوري

قطع الصبحُ على الليل السفَر فَهمَى دمعي على خدِّ الزهَرْ
غسلَ الدمعُ سُباتَ النَّرجسِ وصحا العُشبُ بمَسرَى نفسي
جرَّب الزَّارعُ قولي مُحصَدا مِصرعاً ألقَى ، وسيفاً حصدا
إنَّه حَبَّ دموعي زَرعا نسجَ الروضَ وأنَّاتي معا
ذرَّةٌ قد نالت الشمسَ أنا كم صباحٍ في فؤادي كَمنا
طينتي منْ جَامِ جَمٍّ أنورُ منْ غيوبِ الكون عِندي عبرُ[2]
صَيْدُ أفكاري ظِباء لم تُرَمْ لم تُسَيَّب بَعدُ منْ قيدِ العَدمْ
زَانَ بُسْتاني عشبٌ ما ظَهرَ وجنيتُ الوردَ في جوف الشَّجر[3]
محفِلُ الشادين مني يرجُفُ في وِتار الكون كفِّي تعزِف
صامِتٌ فيَّ ربابُ الفِطرةِ ما وعَى عنِّي جليسي نغمتِي
إنني شمسٌ قريبٌ مولدي حُبُكاً في فَلَكٍ لم أعْهَد

---

(١) نيت درخشك وتربيشه من كوتاهي جوب هرتخل كه منبر شوه داركم

(٢) حام جم أي : كأس جمشيد . وفي أساطير الفرس أنَّ الملك جمشيد كان عنده كأس يرى فيها الأقاليم السبعة . وفي هذا البيت وما بعده يقول الشاعر : إنه يرى الغائب ، ويدرك ما لم يخلق .

(٣) جنى الورد الذي لم يظهر من شجره : علم أنه سيظهر دون ريب ، وأنه سيجنيه ، فكأنه قد جناه .

لـم يَـرُعْ ضـوئـيَ سِـربَ الـزُّهُـرِ أو يُـرَجْـرَجْ زئبَقـي فـي البَصـرِ[1]
مـا رأت رقـصَ ضيـائـي الأبحُـرُ أو كسـا الأطـوادَ ثـوبـي الأحمـر
عيـنُ هـذا الكـون لـي لا تعهـد أنـا مـن خـوفِ طلـوعٍ أرْعَـدُ
مـزَّقَ الظلمـةَ فجـرى فسفَـرْ وبـدا طَـلٌّ جـديـدٌ فـي الـزَّهَـرْ
إننـي أرقـب صبحـاً مُعلمـا حبَّـذا مـن حـول نـاري زمـزما[2]

* * *

أنـا لَحْـنٌ دون ضَـربٍ صَعَـدا أنـا صـوتٌ شاعـري يـأتـي غـدا[3]
دونَ عصـري كـلُّ سـرٍّ قـد خَفـي ما بهذي السوق يُشرى يوسُفي[4]
أنـا فـي يـأسٍ مـن الصّحْـب القـديم مُشعـلٌ طُـوري ليغشـاه كليـم[5]
بحـرُ صحبـي قطـرةٌ لا تَـزْخَـرُ قطـرتـي كـاليـمٌ فيـه صَـرْصـرُ
مِـن وجـودٍ غيـرِ هـذا لـي غَنـاء ولـركـبٍ غيـرِ هـذا لـي حُـداءْ
كـم تجلّـى شـاعـرٌ بعـد الحِمـام يـوقـظُ الأعيـنَ حينـاً وينـام
وجهـهُ مـنْ ظُلمـة المـوت سَفَـر ونمـا مـنْ قبـره مثـلَ الـزَّهَـر[6]

* * *

كـم بهـذا السَّهـب مـرّتْ قـافلـهْ مثـلَ سَيـر النُّـوق رهـواً سـابلـهْ

---

(١) لم يغش ضوئي النجوم ، ولم يضطرب شعاعي في الأعين اضطراب الزئبق .
(٢) حبذا من صَلي بناري وزمزم حولهما كالمجوس .
(٣) هو صوت شاعر الغد ، ليس صوتاً للزمن الحاضر .
(٤) أفكاري لا يفهمها هذا العصر ، إنها جميلة جمال يوسف ، ولكن ليس في هذه السوق من يشتريها .
(٥) يائس ممن عرف من الناس ، وهو يرجو أن يأتي إليه كليم يفقه عنه ، كما ذهب موسى الكليم إلى الطور .
(٦) قال : إنه شاعر المستقبل لا الحاضر فقال : كثير من الشعراء لم يُعرف قدرُهم إلا بعد الموت .

غيرَ أنّي عاشقٌ ، ديني النُّواحْ ... ثورةُ المحشر في هذا الصياحْ
أنا لحنٌ كلَّ عنه الوترُ ... لا أُبالي أنَّ عُودي يُكسرُ[1]
أبعدِ القطرة عن سيلٍ طما ... وانظرنَّ اليمَّ منه التطما
لا تعي موجيَ هذي الأنهرُ ... لا تعي لُجّيَ إلا أبحرُ
ليس أهلاً لسحابي زهرةُ ... ليس فيها لنموٍّ روضَةُ[2]
كم بُروقٍ نائماتٍ في الجَنانْ ... ضاقت البيدُ لديها والقِنانْ[3]
إنْ تكن صحراء فاطلب لجّتي ... أو تكن سيناءَ فاقبس شُعلتي
قد حُييتُ الوردَ من عَين الحياهْ ... ووُهِبْتُ السِّرَّ من عين الحياهْ[4]
أشعلَ الذرَّةَ لحني الثائرُ ... رفرفتْ فهي يَراعٌ طائر
مانثا ذا السرَّ غيري في البشرْ ... لم يُثقِّب ناظمٌ مثلي الدُّرَر
أقبلنْ إن تَبغ عيشَ الخالدينْ ... أقبلَنْ إن تبغ مُلك العالَمينْ
أفشتِ الأفلاك لي السرَّ القديمْ ... كيف يُخفَى السرُّ من دون النَّديم ؟
أيها الساقي ! من الراح اسقني ... وآسِ في قلبي جِراحَ الزَّمن
شعلةُ الماء التي من زمزم ... قيصرٌ يعنو لها كالخدم
مُقلةُ المُبصر منها أبصرُ ... وشِعابُ الفِكر منها أنور
تجعلُ الريشةَ طوداً قاهرا ... وتُري الثعلب ليثاً زائرا
هيَ تسمو للثُريَّا بالثَّرى ... وتعي القطرةُ منها أبحرا
تجعلُ الصَّمت ضجيجَ المحشرِ ... تجعل الدُّرَّاج حتفَ الأصْقُر
املأ الكأس بصفوٍ نيِّرِ ... نوِّرِ الفكرَ بنورِ القمرِ

---

(١) هو لحن لا يطيقه وتر . وهو لا يبالي أن يقطع أوتاره في إظهار هذا اللحن . لا يبالي أن يموت في الإعراب عن هذا الوجد .

(٢) الزهرة التي لا تنمو حتى تصير روضةً ليست أهلاً لمطره .

(٣) جمع قنة ، وهي قمة الجبل .

(٤) العين الأولى عين الماء ، والثانية عين الشيء أي نفسه ، وكلمة الحياة رديف .

لأقـود الـرَّكـبَ شطـر المنـزل ... بـاعثـاً شَـوقَ السُّـرى فـي المُقَـل
راثيـاً وجـهَ جـديـدِ الأمـل ... سـاعيـاً إثـرَ جـديـدِ العَمَـل
فـأُرى إنسـانَ عيـنِ العـارفيـن ... وأُرى لحنـاً بـأُذنِ العـالميـن
مُعليـاً قَـدْرَ الكـلام المُبـدَع ... مـازجـاً فيـه غـزيـرَ الأدمُـع
قـارئـاً مـن فيـضِ ذا الشيـخ العظيـم ... كُتُبـاً تُضمِـر أسـرار العلـومْ[1]
قلبـهُ مـن شعلـة الـوَجـد استعـرْ ... وأنـا فـي نَفـسٍ منـه شَـرَرْ
قـد رمـى الشَّمعُ فَـراشي بـاللهـبْ ... وغـزتْ جـامي الحُميَّـا فـالتهـبْ[2]
صيَّـر الـرومـيُّ طينـي جـوهـرا ... مـنْ غُبـاري شـاد كَـونـاً آخـرا
ذرةً تصعـدُ مـن صحـرائهـا ... لتنـال الشَّمـس فـي عليـائهـا
إنَّنـي فـي لُجِّـه مـوجٌ جـرى ... لأصيـب الـدُّر فيـه نيِّـرا
قـد عـرتْنـي نشـوةٌ مـن كـأسـه ... وحيـاةً نلـتُ مـن أنفـاسـه

* * *

ليلـةً رانـتْ علـى قلبـي الشُّجـون ... وسرت « يا ربِّ » في الليل السُّكون[3]

---

(١) الشيخ العظيم : هو جلال الدين الرومي أكبر وأشهرُ شعراء التصوف عند الفرس . ولد بمدينة بلخ عام ٦٠٤هـ لأبٍ من العلماء والفضلاء ، رحل به وهو صبي إلى بلاد الأناضول التي كانت تابعة من قبل للروم ، واستقرَّ في مدينة قونية . ولذلك عرف جلال الدين بالرُّومي ، كما عرفت بلاد الترك ببلاد الروم لعين السبب . ولقد تلقى العلم أول ما تلقى على أبيه ، ثم عَقَدَ الأسباب بينه وبين العلماء والمتصوفة ، وتصدَّر للوعظ والإرشاد ، ثم مال إلى التصوف ، وأصبح من شيوخه والتف حوله من المريدين خلقٌ كثير . وله كتابٌ منظومٌ يسمى المثنوي يتضمَّن حكايات لها مغزىً صوفي ، وآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية يفسرها ، ويؤولها ، ولكن لا على ظاهرها . ولا يداني المثنوي كتابٌ آخر في شهرته ، ونفاسته عند الصوفية . وكانت وفاة جلال الدين الرومي عام ٦٧٢هـ .

(٢) الفراش والشمع مثل للمحب والحبيب . فالفراش يقدم على النار ، فيحرق نفسه غير مبالٍ ، ولكن الشمع هو الذي غزا فراشه .

(٣) سرت مني دعوة يا رب في الليل .

مـنْ فـراغِ الكـأس قلبـي نـائـحُ ... مـن صـروفِ الـدَّهـر شاكٍ صائحُ
أرهـقَ التسيـارُ فكـري فثـوى ... هيـضَ سِقْطـاه وللنَّـوم هـوى[1]

* * *

لاحَ شيـخُ الحـقِّ ذاك الألمعـيّ ... مـن حكـى قـرآننـا بـالفهلـويّ[2]
قـال : يـا ولهـان بيـن العـاشقيـن ! ... من شراب العِشْق فاجرع كلَّ حين
شُـقَّ فـي العيـن حِجـابَ البصـر ... وأثِـرْ فـي القلـب هَـوْلَ المحشـرِ
واجعلـنَّ الضَّحْـك ينبـوع البكـاء ... وامـلأ العيـنَ دمـوعـاً مـن دمـاءْ
أنـت كـالكِـمِّ صمـوتٌ أبكـمُ ... انشُـرنْ كـالـورد ريحـاً تَفْعـم[3]
صعِّدنْ من كلِّ عضوٍ ، كالجرس ... نـوحـك الصـامـتَ فـي كـلِّ نفَـس
أنـت نـارٌ فـأضـيء للعـالَميـن ... بلهيـب منـك أذكِ الآخـريـن[4]
سِرَّ شيـخ الحـان أعلِـنْ فـي هَيـاجْ ... كن مُداماً واتخذ ثوبَ الزُّجاج[5]
وكـنِ الفِهـرَ لمـرآةِ الفِكَـر ... واصدَعنْ جهراً وأعلنْ ما استتر[6]
حـدِّثـن كـالنَّـاي عـن غـابٍ نـأى ... حـدثـنْ قيساً عـن الحيِّ انتـأى[7]
جـدِّد النَّـوح بلحـنٍ محـدَثِ ... ومـن الآهـات فـي الحفـل انفـثِ

---

(١) السقطان : الجناحان .

(٢) يقال عن كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي : إنه القرآن في اللسان الفهلوي ، أي : الفارسي .

(٣) كم الزهر منقبض يخفي لونه وريحه ، فإذا انفتح نشر ريحه واستبان شكله . فعمت الرائحة : ملأت الأنف .

(٤) أذكى النار : أشعلها .

(٥) اتخذ ثوب الزجاج : أظهر ما في باطنك ، كما تظهر الزجاجة ما فيها .

(٦) الفهر : الحجر الصغير ، يعني : اكسر مرآة الفكر ، ولا تعول على ما تبديه ، وأبد ما للعشق في قلبك .

(٧) الناي مأخوذ من الغاب وصوته عند شعراء الصُّوفية حنين إلى غابه . وقد بدأ جلال الدين كتاب المثنوي بقصة الناي والغاب .

كـلَّ حـيٍّ فيـه رُوحـاً أحْكـمِ ... وزِد الحـيَّ حيـاةً مـن « قُـم »[1]
وهلـمَّ اسلُـك طـريقـاً أنْفـا ... وانـفِ عـنْ قلبـك مـا قـد سَلَفـا
جـرسَ الـرَّكْـب ! تنبَّـه لا تنـم ... واعـرف اللَّـذة فـي هـذا النَّغَـمْ

* * *

صِـرْتُ نـاراً فـي ثيـابـي تُسعَـر ... صِـرْتُ كـالنَّـاي ، هَيـاجـاً أضْمِـر
ثُـرتُ مـن أوتـار نفسـي نغمـا ... شِـدتُ مـن حسـن بيـانـي إرمـا[2]
فـرفعـتُ السِّتْـر عـن سـرِّ خـودي ... فبـدا الإعجـاز مـن أمـر خـودي[3]
كـان كـونـي صـورة لـم تكمـل ... كـان سِقطـاً مُهمـلاً فـي الهَمـل
مِبْـردُ العشـق بـرانـي رجـلاً ... كيـفَ هـذا الكـون والكـمَّ جَـلا[4]
فـرأت عينـاي نَبـض الأنجُـم ... وبعـرق البـدْرِ دَوراتِ الـدَّم[5]
وبكيـتُ النَّـاسَ جنـحَ الظُّلَـم ... فبـدا سـرُّ حيـاة الأمـم
مَصنـعُ الكـون أرانـي مـا حـواه ... فتجلَّـى سـرُّ تقـويـم الحيـاه
أنـا ـ مـن فـي ظلمـة اللَّيـل أنـار ـ ... فـي طـريـق الملَّـة البيضـا غُبـار[6]
صـوتُهـا فـي الشـرق والغـرب عـلا ... لحنُهـا فـي القلـب نـاراً أشعَـلا
ذرَّةٌ ألقـت وشمسـاً حصـدتْ ... ألـفَ رومـيٍّ وعطَّـارٍ جنـت[7]
آهتـي الحَـرَّى سمَـتْ فـوق العَنـانْ ... عِترتي النارُ ، وإن كنتُ الدُّخان[8]

---

(١) قم : فعل أمر . يعني أحي الناس بقولك قم . والكلمة بلفظها العربي في الأصل .
(٢) إشارة إلى ما يقال في وصف إرم ذات العماد .
(٣) أبقيت كلمة خودي في الشطرين كما جاءت في الأصل . ومعناها : الذاتي . وهي أساس فلسفة إقبال .
(٤) جلاني العشق كيف هذا والكون وكمّه حين سلط على مبرده فسوَّاني رجلاً .
(٥) رأى نبض النجوم وسير الدَّم في عروق القمر ؛ أي : أدرك أسرار الكائنات .
(٦) الملَّة البيضاء : الأمَّة الإسلامية ، أي : هو غبار من سيرها في الطريق .
(٧) فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي من كبار شعراء الصوفية .
(٨) يعني : أن أصله من هذه الأمة ؛ فإن يكن دخاناً ، فهو من هذه النار .

قلمي في مسرح الفكر علا فجلا الأسرارَ في السَّبْع العُلَى

* * *

ما قصدت الشعر في هذا النَّغَم نحتَ أصنامٍ وتعظيمَ صنم[١]
أنا هنديٌّ شآني الفارسيّ وهلالٌ أنا ذو جام خليّ[٢]
لا تؤمِّل عندنا حسن البيان لحنَ خَنْسارٍ به أو أصفهان[٣]
ذاكمُ الهنديُّ يحكي السَّكرا لكن الدَّرِّيُّ أحلى مخبَرا[٤]
سحرَ الفِكرَ تجلِّبه وراغْ فإذا لي شجرُ الطورِ يراع[٥]
قد علا فكري وهذا الفارسيُّ لاءم الفطرةَ في فكري العليّ
أيُّها العائبُ كأسَ الخندَريس انظرنْ يا صاح ما تحوي الكؤوس[٦]

* * *

في بيان أنَّ نظام العالم من الذَّاتية ، وأنَّ تسلسل حياة أعيان الكون لا يكون إلَّا باستحكامها

هيكلُ الأكوانِ من آثارها كلُّ ما تُبصر ، من أسرارها
نفسَها قَدْ أيقظتْ حتى انجلى عالمُ الأفكارِ ما بين الملا
ألفُ كونٍ مختفٍ في ذاتها غيرُها يَثْبُتُ منْ إثباتها

---

(١) ما قصدت ما يفعله الشعراء من نحت الأصنام وعبادتها ، أي : المدح والخنوع للكبراء ، أو للآراء السائدة .
(٢) هو هندي يغلبه اللسان الفارسي . وهو كالهلال كأسه لم تملأ أي لم يتمَّ نوره .
(٣) خوانسار وأصفهان أخرجتا شعراء وألحاناً كثيرة .
(٤) الهندي اللغة الأردية التي نظم بها إقبال بعض دواوينه ، والدري اللغة الفارسية .
(٥) يعني صار قلمه من شجرة الطور المقدسة التي رأى موسى عندها النار .
(٦) ناسبت الفارسية أفكاره فكتب بها ، وينبغي أن ينظر إلى معانيه لا إلى ألفاظه الفارسية المعيبة .

جعلت بَزر خصامٍ بزرَها ... نفسَها تنظرُ فيها غيرَها
خلقت أضدادها منْ نفسها ... لترى لذَّتَها في بأسها
تبتلي في نفسها قوَّتَها ... لترى منْ نفسها قُدْرتها
خُدعٌ منْ وَهمها عينُ الحياهْ ... غُسْلُها في دمها عين الحياهْ[1]
تُخربُ البستان أجلَ الوردة ... تُكثر النَّوح لأجلِ النغمة
لفُليكٍ واحدٍ ألفُ هلال ... ولحرفٍ واحدٍ ألفُ مقالْ
عذرها في سَرَفٍ أو قسوةٍ ... أنَّها تبغي جمال الخلقة[2]
حُسنُ شيرينَ لفَرهادَ مِحَنْ ... ومن المسك رَدَى ظَبيُ الختَن[3]
في فَراش حرقة كالمشعَل ... عذرُه في شمعه المشتعلِ
ألفَ يوم سطَّرته يدُها ... ليُجلَّى في سناه غدُها
ألفُ إبراهيم في النار اغتدى ... لسراجٍ يُرتجى من أحمدا[4]

* * *

همُّها الأعمال فهيَ الفاعلُ ... وهيَ العلَّة وهْيَ القابل
ثورةٌ فيها وإجفالٌ ، ونور ... واحتراقٌ واختفاء وظهور[5]

---

(١) خلاصة الأبيات المتقدمة : أنَّ الذاتية ، وهي واحدة ، اتخذت في الكون مظاهر مختلفةً يحارب بعضها بعضاً ، والحياة في هذا الخصام ، وهذا التنازع بين مظاهر الكون .

(٢) في الأبيات الثلاثة المتقدمة يشير الشاعر إلى أنَّ الخلقة لها مقصدٌ ، تهدَّم من أجنه آلاف الأشكال ، ولا تبلغ الكمال إلا بهذا الهدم .

(٣) عشق فرهاد شيرين قصةٌ رائعةٌ في الأدب الفارسيّ . . والختن : بلادٌ معروفة بطيب المسك .

(٤) يعني إبراهيم الخليل وأحمد النبي عليهما الصلوات والسلام .

(٥) عمل الذاتية في الطين منه ازدهار العالم ، والليل نومها والنهار يقظتها ، والأجزاء في الكون شرر شعلتها الواحدة ، تنشق فتكون الأجزاء ، وتنبسط فتكون الصحراء ثم ينضمُّ بعضها إلى بعض فتكون جبالاً .

سعةُ الأيّام ميدانٌ لها ... والسماء النَّقعُ يعلو سُبلَها
يدُها في الطِّين ، للكونِ ازدهارْ ... نومُها الليلُ ، وفي الضَّحو النهار
قسَّمتْ شعلتها في شَرَر ... فرأى الأجزاء عقلُ المُفْكِر
تخلق الأجزاء إمَّا تنفطر ... تُنشىءُ الصَّحراء إمَّا تنتشر
ثم صارت بانتشارٍ في ملال ... فاحزألَّت فبدت شمُّ الجبال
شيمةُ الذَّاتِ التجلِّي لا الخفاء ... وهي في الذرَّاتِ باسٌ وضياءْ
قوَّةٌ صامتةٌ حِلفُ عَمَلْ ... عملُ اليوم لآتيها عِلل
قوَّة الذَّات من الكون النواهْ ... فعلى قدرِ القُوَى قدرُ الحياه
كِلْمة الذَّات تعيها قطرةُ ... فإذا القطرة يوماً درَّةُ
خارتِ الخمرُ فلا شكلَ لها ... ومن الكأسِ استعارت شكلها[1]
وسها طودٌ عن النَّفس فحار ... فغدا صحراءَ تغشاها البحار[2]

* * *

يُعقَد النُّور لخلقِ المقْلةِ ... تخفقُ العَيْنُ بشوقِ الجَلوة
وإذا العشب نماءً أضمرا ... شقَّ صَدْرَ المرج حتى يَظْهرا
يجمع الشَّمعُ بعزمٍ نفسَه ... ومن الذَّرات يُعلي رأسه
ويُذيب النَّفس إمّا غَفَلا ... فتراه دمع عينٍ همَلا[3]

* * *

شدَّتِ الأرضُ قُواها فالقمر ... في طوافٍ حولها لا مستقر
وكيانُ الشَّمس منها أكبرُ ... فلها عين ذُكاءٍ تسحَر

---

(١) قطرة الماء استكملت ذاتها فصارت درَّة ، والخمر ضعفت ذاتها فهي مائعة تستعير قوامها من الكأس .

(٢) حذف بيتٌ قبل هذا البيت وآخر بعده اختصاراً .

(٣) حذف بيتان بعد هذا البيت اختصاراً .

وعـــلا الحـــورُ فهـــالَ النَّـــاظـــرا ... وعـــلا الطـــودَ أبيَّـــاً قـــاهـــرا
وارتـــدى كســـوةَ نـــارٍ حـــاميـــه ... أصلـــهُ حبَّـــة نبـــت آبيـــه[1]
إنَّ ذاتـــاً جمعـــتْ أسْـــرَ الحيـــاه ... مـن غـديـرٍ أزخـرت بحـرَ الحيـاه[2]

* * *

في بيان أنَّ حياة الذَّات بتخليق المقاصد وتوليدها

إنَّمـــا يُبقـــي الحيـــاة المقصـــدُ ... جَـرَسٌ فـي ركبهـا مـا تَقصـد[3]
سِـرُّ عيـشٍ فـي طِـلابٍ مُضمَـر ... أصلُـــه فـــي أمـــلٍ مستتـــرُ
أُحـــيِ فـــي قلبـــكَ هـــذا الأمـــلا ... لا يَحُـــلْ طينُـــك قبـــراً مُهمَـــلا
يخفِـقُ القلـب بـه بيـن الصـدورْ ... هـــو فـــي صـــدرك مـــرآة تُنيـــر
يهـــبُ التـــربَ جَنـــاحـــاً يَصعَـــد ... ولمـوسـى العقـلِ خَضْـراً يُـرْشِـد[4]
إنمـــا يحيـــا الفـــؤادُ الآمـــلُ ... وإذا حـــيَّ يمـــوت البـــاطـــلُ
فـــإذا عـــيّ بتخليـــق المُنَـــى ... هِيـــضَ سِقطـــاه وأودَى وَهَنـــا
أمـــلُ الـــذاتِ لهيـــبٌ يَستعِـــرْ ... أو هـــو المـــوج الـــذي لا يستقِـــرْ
وهَـــقُ المقصـــودِ حَبْـــل الأمـــل ... إنَّـــه خَيْـــط كتـــابِ العمـــل[5]
ومـمـــاتُ الحـــيِّ فقـــدان الـــرجـــاءْ ... يُطْفـــيءُ الشعلـــةَ فِقـــدانُ الهـــواء

* * *

---

(١) هذا مثل شعري آخر من قوة الذَّاتية شجر الجنَّار ، تقوى ذاته ، فيعلو ، وتكسوه حمرةٌ كأنها النَّار . وكل هذا لأن حبته قويةٌ محتفظةٌ بذاتها .

(٢) الخلاصة أن الذات التي تجمع قوة الحياة تخرج بحراً زاخراً من غدير صغير .

(٣) المقصد مثل جرس القافلة ينبهها للسير .

(٤) هو من العقل كالخَضِر من موسى يهديه ويبين له الحقائق . في بيان : أنَّ حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها .

(٥) الوهق : حبل فيه أنشوطة تمسك به الخيل المسيبة ، ويصاد به . وخيط الكتاب : الخيط الذي تجمع به أوراقه بعضها إلى بعض .

كيف فينا أعينٌ قد ظهرت ؟ لذةُ الرؤية فينا صوَّرت[1]
من مُنَى التَّخطارِ رجلُ الحجَل من مُنَى التغريد حَلقُ البلبل
حَيَّ نايٌ قد نأى عن غابه أطلق النَّغمة من أوصابه
ذلكَ العقل الَّذي الكون طَوى وتَرى الإعجاز فيه والقُوَى
إنَّما أصل الحياة الأملُ فكذاك العقلُ منه يُنسَل[2]

* * *

ما نظامٌ في شعوبٍ ، وسُنن ؟ ما تَرى التجديدَ في علمٍ وفنّ ؟[3]
أملٌ من قوة فيه ظَهَرْ بَرِحَ القلبَ فغشَّته صُوَر
كلُّ ما نملكُ من هذي الحواس كلُّ عضوٍ فيه للعيشِ التماس
كلُّ فكرٍ وخيالٍ واعتبار كلُّ حسٍّ وشعورٍ وادِّكارْ
هي آلات الحياة الجاهدة حين تَمضي في وغاها صامده
ليس قَصْد العِلم والفنِّ الفِكَر ليس قَصْد المرج ألوانَ الزهَر
إنَّما العلم وِقاءٌ للحياهْ إنَّه للذَّات تقويمُ النجاهْ
للحياة العلمُ والفنُّ خَدَم للحياة العلمُ والفنُّ حَشَم

* * *

جاهلاً سرَّ الحياة ! اجتهدِ وامضِ نشوانَ بخمر المقصدِ
مقصدٍ كالصُّبح في أنواره محرِقٍ كلَّ « سِوى » في ناره
مقصدٍ يجتاز آفاق السَّماءْ يأخذُ القلب بحُسنٍ وبهاء

---

(١) في هذا البيت وما بعده يضرب أمثلة لعمل الأمل في العالم . فيقول : إنَّ العين خلقت حينما قصد الإنسان الرؤية ، ورجل الحجلة خلقت من أجل السير والتبختر ، وحلق البلبل من أجل التغريد .

(٢) العقل كذلك من مواليد الأمل .

(٣) كلُّ نظامٍ في الناس وسنن وعلم وفن آمالٌ انبعثت من القلب بقوتها فتصوَّرت صوراً شتى .

ثـــورةٌ فيـــه وفيـــه محشـــرُ وعلـى البـاطـل حـربـاً يُسعِـر
نحـــنُ أحيـــاءٌ بخلـــق الأمـــلِ نحـــنُ فـي نـورٍ بهـذي الشُّعـل

* * *

في بيان أنَّ الذَّات تستحكم بالمحبَّة والعِشْق

نُقَـط النُّـور التـي تُـدعـىٰ الـذواتْ شـــرر فـــي طيننـــا للْحَيَـــواتْ
مُشعَـلٌ بـالحـبِّ منهـا الجـوهـرُ يتجلَّـى مـن قـواهـا المُضمَـرُ
قطـرةٌ بـالعشـق تُـوعِـي ضـرَمـا وهـي بـالعشـق تُنير العـالَمـا[1]
لا يهاب العشقُ في السيف المَضاء ليـس مـنْ مـاءٍ وتـربٍ وهـواءْ
هـو فـي العـالـم صلـحٌ وخِصـامْ للحيـاة المـاء مـن هـذا الحُسام
نظـرةُ العِشْـق بهـا شَـقُّ الصُّخـور هـو عشـقُ الحـقِّ ، والحـقَّ يَصير
فـابـغ فـي طينـك هـذي الكيميـاءْ اقبِسـنْ مـن كـاملٍ هـذا الضياء[2]
امـض كـالـرومـيِّ شمعـاً يَشتعـل وارم من تبريز في الروم الشُّعَل[3]
إنَّ فـي قلبـك معشـوقـاً ثـوى أقبِلَـن أنبئُـك عـن هـذا الجَـوى
عـاشقـوه قـد شَـأوْا كـلَّ جميـل حبُّهـم فـي كـلِّ قلـبٍ لا يَحـولْ
عشقُـه فـي القلـب نـورٌ أسفـرا للثُّـريـا يـرتقـي منـه الثَّـرى[4]
تُـربُ نجـدٍ منـه قـد خـفَّ وضـاء طـار وجـداً مُصعـداً نحـو السَّمـاء
مُهْجـةُ المسلـم مَثْـوى المصطفـى عِـزَّةُ المسلـم ذكـرى المصطفـى
مـوجـةٌ مـن نَقْعـه الطـورُ الأشـمّ داره ، للكعبـة العظمـى حَـرَمْ

---

(١) ترعي : تجمع وتدخر .
(٢) حذف بيت قبل هذا اختصاراً والكامل هنا الإنسان المرشد الذي يهدي المبتدىء .
(٣) إشارة إلى جلال الدين الرومي وشيخه شمس التبريزي الذي نقله من العلم إلى العشق ، والروم هنا أرض الروم ، وهي آسيا الصغرى .
(٤) المعشوق المذكور في هذه الأبيات هو الرسول .

ضـــاق عـــن آنٍ حـــواه الأبـــدُ مستمـــدٌّ مـــن مـــداه الأمـــد
آثـــرت سُحـــق حصيـــرٍ عِفَّتـــهْ وعلـــتْ تيجـــانَ كســـرى أمَّتُـــه
خلـــواتٌ فـــي حِـــرَاءٍ خَلَقَـــا أمّـــةً مِنْهـــا وحُكمـــاً مُشـــرِقـــا
كـــم ليـــالٍ قـــد قضـــاهـــا ســـاهـــدا فحبـــا الأمـــة مُلكـــاً خـــالـــدا
سيفـه فـي الحـرب قَطَّـاع الحـديـدْ عينُـه فـي الـذكـر بـالـدَّمـع تجـود
سيفـه « آميـن » تمحـو الظـالميـن حيـن يـدعـو الحـقُّ بـالنَّصـر المُبيـن
سُنَنـاً فـي كـوننـا قـد جـدّدا ومـن المـاضيـن مُلكـاً بـدَّدا
فتـح الـدُّنيـا لـه مفتـاحُ ديـنْ عقِمـتْ عـن مثلِـه أمُّ السِّنيـن
استـوى مـولّـى لـديـه وغـلام هـو والعبـد سـواءٌ فـي الطعـام[1]

* * *

أسـرتْ فـي غـزوةٍ بنـتُ الجـواد مـنْ عَـلا طيَّـاً بجـدواه وسـادْ[2]
رجلهـا فـي القيـد والـرأس حسيـرْ مُطـرقٌ فـي ذلِّـه الطـرفُ الكسيـر
بُـردةً ألقـى عليهـا سـاتـرا إذْ رأى وجهـاً ورأسـاً حـاسـرا
نحن أعرى في الورى من أختِ طيّ ليـس يكسـونـا لـدى الأقـوام شـي
هـو فـي الـدنيـا علينـا سـاتـرُ وهـو فـي الحشـر إلينـا نـاظـر
لطفُـه والقهـر كـلٌّ رحمـةُ لصـديـقٍ وعـدوٌّ رأفـةُ
وبيـومِ الفَتْـح هـذا الغـافـر قال : « لا تثريب » وهو القادر[3]
إننـا مـن قَيـد أوطـان بَـراءْ نحـن مـن عينيـن نـور لا مِـراءْ[4]

---

(١) إشارة إلى ما جاء في الأثر مثل : أنا عبد آكل أكلة العبد ، وأجلس جلسة العبد .
(٢) إشارة إلى قصة بنت حاتم الطائي حين جيء بها إلى المدينة في الأسرى فألقى عليها الرسول بردة وأطلقها .
(٣) إشارة إلى عفو الرسول يوم فتح مكة عن قريش وقوله : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم .
(٤) يعني : إننا كالبصر يصدر من عينين . هو واحد وإن اختلف مصدره .

نحن في مغربنا والمشرقِ ... كالنَّدى في وجه صبحٍ مُشرقِ
أسكرتْنا عينُ ساقٍ في البطاح ... كزجاجٍ نحن في الدنيا ، وراح[1]
قد محا الأنسابَ طُرّاً ذا العظيم ... نارُه قد أحرقت هذا الهشيمْ
نحن زَهرٌ وشَذانا ائتلفا ... ضمَّنا منه نظامٌ ألَّفا
نحن كنَّا سِرّه في قلبه ... فأذاعت صيحةُ الحقِّ به

* * *

عشقه ثارَ بعودي الصَّامتِ ... ألفُ لحنٍ في فؤادي السَّاكت
ما حديثي عن ولاءٍ واشتياقْ ؟ ... قد بكى جذعٌ مواتٌ للفراق[2]
صورتي قد أوضحتْ مرآتُه ... أنا صبحٌ أطلعتْ آياتُه
ثورةُ الحشر بليلي النائمِ ... وهدوئي في اضطرابٍ دائم
إنَّني البستانُ في آذاره ... في عروقي الماء منْ أمطاره[3]
قد غَرَسْتُ العين في حقلِ الوِداد ... من سراحِ العَيْن لي هذا الحصاد[4]
قد شأى الدارَين من يثربَ طِيب ... حبَّذا دارٌ بها مثوى الحبيب !
أنا للجاميِّ في الشعر فداءْ ... نظمه والنثر من جهلي دواء[5]
قال بيتاً بالمعاني يفهق ... فيه دُرٌّ منْ مديحٍ يبرُقُ :
« هو عنوان كتاب العالَمين ... سيِّد الكونين ، مولى الثقلين »

---

(١) نحن ممتزجون كما يمتزج الراح والزجاج .
فكأنما خمرٌ ولا قدح ... وكأنما قدحٌ ولا خمر

(٢) إشارة إلى قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عنده الرسول حين انتقل عنه إلى مكانٍ آخر .

(٣) هو بستان ناضر من مطر آذاره . والضمير للرسول ﷺ .

(٤) جمع ما جمع من المعاني من تسريح عينه في مآثر الرسول .

(٥) الشيخ عبد الرحمن الجامي من كبار العلماء والشعراء والصوفية في القرن التاسع الهجري .

كم يُريكَ العِشقُ من صهبائه ... فترى التقليدَ من أسمائه[1]
أحكِم العِشْقَ بتقليد الحبيبْ ... لتنال القربَ منْ ربٍّ مُجيب
في جِراء القلب فاقعدْ خاليا ... وإلى الحقِّ فهاجرْ راضيا
اقوَيَنْ بالحقِّ ثمَّ ارجع إليك ... واحطمنَّ اللاَّت والعزَّى لديك[2]
قوِّيَنْ بالعشق في سلطانه ... وابتغ الجلوة في فارانه[3]
تظفرنْ بالقربِ يا ذا السائلُ ! ... وتكن تفسير « إني جاعل[4] »

* * *

في بيان أنَّ الذَّات تضعفُ بالسُّؤال

أيها الجابي من الأسْد الخراجْ ! ... صِرْتَ كالثَّعلب خِبّاً باحتياج
ذلك الإعوازُ أصلُ العِلل ... كلُّ آلامك منْ ذا المُعضِل
سالبُ الرِّفعة من فكرٍ رفيعْ ... مطفىء الشَّمع مِنَ الذِّهن البديع
من كنوز الدَّهر أخرجْ ما تريد ... وخذِ الصَّهباء من دَنِّ الوجود
وعن الرَّحل ترجَّل كعمر ... احذَرن من منَّة الناس ، الحذَر[5]
صاح ! حتَّامَ اجتداءُ المنصِب ! ... فيم كالطفلِ ركوبُ القَصَب[6]
تجدِ الإفلاسَ بالسؤل أذلّ ... وترى السائلَ أحزى وأقلّ

---

(١) للعشق أشكال مختلفة منها التقليد أحياناً . وهو يدعو هنا إلى تقليد الرسول .
(٢) هاجر إلى الحق لتقوى ؛ ثم ارجع إلى نفسك فاحطم ما بها من أهواء .
(٣) فاران : اسم مكة أو جبالها .
(٤) إشارة إلى الآية : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] أي : لتكون خليفة الله في الأرض .
(٥) إشارة إلى قصة عمر حين سقطت درته من يده وهو راكب فنزل ليأخذها ولم يرض أن يناوله إيَّاها أحد .
(٦) ركوب عود من القصب أو الجريد كما يفعل الأطفال .

فـرَّق الـذاتَ سـؤالٌ واجتـداءْ فبـدت سيناؤهـا دون ضيـاء[1]
إنْ يكـنْ فـي الـرزق والجَـدِّ عَنـاءْ وطغـىٰ حـولـك سيـلٌ مـنْ بـلاء
لا تـرُم فـي الأرض رزقـاً بـالبُكـاء لا تـرجَّ المـاء مـن عيـنِ ذُكـاء[2]
احـذر الخـزي أمـام المصطفـى يـوم يَخـزى كـلُّ سـاعٍ مـا وفَـى
مـن سمـاط الشَّمسِ يقتـات القمرْ فعليـه وَسـمُ نُعمـاهـا ظهـر[3]
جـاهـدِ الأيـام والله استعـنْ مـاء وجـه الملَّـة البيضـاء صُـنْ
علّـم النـاسَ الصـدوقُ الصـائـبُ أنْ « حبيبُ الله ساعٍ كـاسـبُ »[4]
ويـح مـنْ يحمـل ذلَّ النِّعمـةِ خـافـضَ الـرأس لثِقْـل المنَّـةِ
أرهـقَ النَّفْـسَ بـوقـر الـذلَّـة بنقيـرٍ بـاعَ تـاجَ العـزَّة
مـرحبـاً بـالظـامـىء الضحيـانِ لا يسـأل الخَضْـر شـراباً فـي الفـلا[5]
بسـؤالِ النَّـاس لـم يُنـد الجبيـنْ ذاكـم الإنسـانُ ، لا مـاءٌ وطيـن
تحت هذي الشمس يَمضي ذا الفتى عـالـيَ الـرأس كسَـرْوٍ قـد عتـا
زاد فـي العُسـر مضـاءً حـدُّهُ هـو يقظـانُ وغـافٍ جَـدُّه[6]
كُـن حَبـابـاً مـن عطـاءٍ ينفـرُ فـارغَ الكـأس ببحـرٍ يَـزخَـر[7]

* * *

---

(١) لا نور في سينائها يهدي إلى الحق . إشارة إلى قصة موسى .

(٢) لا تَسأل الماء ولو من عين الشمس .

(٣) السِّمة التي على وجه القمر سمة اجتدائه نور الشمس .

(٤) إشارة إلى الأثر : الكاسبُ حبيب الله .

(٥) لا يطلب من الخضر شربة ماء . وعند الخضر ماء الحياة كما في القصص .

(٦) همته يقظانة وإن كان جده نائماً .

(٧) يتخيل الشعراء حباب الماء كأساً فارغةً وهي في البحر . فضرب الشاعر الحباب مثلاً في العفة والإباء .

في بيان أنَّ الذَّات تستحكم بالمحبَّة والعشق فتسخِّر قوى العالم الظاهرة والباطنة

أمرُها في الكون طرّاً يَحْكُمُ ... حينما الذَّات بعشقٍ تُحكم[1]

يدُها منْ قوَّة الحق أثرْ ... فإذا ما أومأت شُقَّ القمر

في خصومات الورى أقوى حَكَمْ ... صاغرٌ في حكمها داراً وجم[2]

اسْمعَنْ منِّي حديثاً عن وليّ ... اسمه في الهند مشهورٌ عليّ[3]

ذلك الصَّداح في المرج القديم ... قصَّ أخباراً عن الورد الشميم :[4]

سالكٌ سكران من خمرته ... قصد الأسواق في بغيته

وأتى العاملُ في موكبه ... معه الحرَّاسُ قد حفَّتْ به

صاحَ للتطريقِ جنديٌّ نكير ... أيها الأحمقُ أفسح للأمير

ومضى الدَّرويش في تسياره ... غارقاً في اللجِّ من أفكاره

فأتى ربُّ العصا في شرَّته ... ضارباً رأس الفتى في غفلته

فتنحَّى عن طريق العامل ... وهو في ذعرٍ وحزنٍ قاتل

ومضى يشكو إلى شيخ الطريق ... دمعُه من محبس العين طليق

---

(١) تحكم أي : تصير قويةً محكمة .

(٢) دارا وجمشيد من ملوك الفرس القدماء .

(٣) الشيخ أبو علي قلندر من كبار صوفية الهند في القرنين السابع والثامن . والقصة التي يشير إليها الشاعر وقعت بين الشيخ والسلطان علاء الدين الخلجي . وخلاصتها أنَّ أحد مريدي الشيخ ذهب إلى السوق ، وكان موكب العاهل قادماً ، فنادى أحد الحرس الدرويش ليفسح الطريق فلم ينتبه فضربه على رأسه فذهب إلى شيخه شاكياً ، فكتب الشيخ إلى السلطان : إما أن تعزل عاملك أو أنصِّبْ مكانك ملكاً آخر . فخاف السلطان وأرسل الشاعر الكبير أمير خسرو وكان ماهراً في الموسيقا فغنى بعض شعره على الرباب ، فلما آنس من الشيخ قبولاً أبلغه رسالة السلطان يطلب عفو الشيخ فعفا عنه . ويريد إقبال بهذه القصة بيان قوة النفس التقية المستغنية .

(٤) هذا البيت يشير إلى مطلع قصيدة فارسية للشيخ أبي علي قلندر فيها ذكر البلبل والورد .

زمجرَ الشَّيخ بقولٍ من ضَرَم ... مثلَ برقٍ في ذُرى الطَّود اضطرم
ثم أملى الشَّيخ سطراً من لَهبْ ... قال للكاتب في نار الغضبْ :
أمسكِ المِزْبَر واكتبْ ذا النذير ... أبلغ السُّلطان عن هذا الفقير :
« عاملٌ عندك غرٌّ قد عصى ... وعلا رأس غلامي بالعصا
اعزلِ العاملَ ، هذا الفاجرا ... أو أهَبْ مُلكك مَلْكاً آخرا »
عبدٌ حقَّ فيه لله احتساب ... أرعدَ السلطانَ منه ذا الكتاب
آدهُ غمٌّ وخوفٌ لا يحول ... فحكى في لونه شمسَ الأصيل
قيَّد العاملَ بالقيدِ الثَّقيل ... واستغاث الشيخَ للصَّفح الجميل
ورأى خُسرو له خَيْرَ سفير ... ذلكَ الكوكبَ وضَّاء الضَّمير[1]
ساحرَ الألباب في ألحانه ... مستمدَّ الغيب في تِبيانه
ولها خسرو بأوتار الرَّبابْ ... فأهاج الشيخَ وجْداً وأذاب
فطرةٌ كالطَّوْد في عزّتهِ ... خَشَعتْ لِلَّحْنِ في رقَّته
احذرنْ لا تجرحَنْ قلبَ فقيرْ ... لا تزُجَّ النَّفس في نار السَّعير

* * *

قصة في معنى أن مسألة نفي الذَّات من مخترعات الأمم المغلوبة لتضعف الأمم الغالبة بهذه الطريقة الخفية

قد سمعنا أنَّ في عصرٍ قديم ... جَمْعَ ضأنٍ كان في مَرعىً يُقيمْ
وفَرَتْ نسْلاً بذا المرعى الخصيب ... فارغاتِ البال من ليثٍ وذيبْ
ثمَّ ألْوَى بمُناهنَّ القدَر ... ورمَى بالسَّهم فيهنَّ الدَّهر
دهمتها الأسدُ من آجامها ... ناشراتِ الذُّعْرِ في أيَّامها
آيةُ القوَّةِ حكمٌ قاهرُ ... سرُّها الظاهر فتحٌ ظافرُ

---

(١) أمير خسرو الدَّهلوي من كبار الشعراء في القرن الثامن الهجري .

ضربَ الليثُ طبول النوبة ... آخذاً آفاق هذي الثَّلة[1]

وكسا المَرعى بصبغٍ أحمرا ... ما سِوَى الفَرسِ لدى أسد الشَّرى

وانبرى كبش ذكيٌّ ذو عُمُر ... جرَّب الأحداث من حُلوٍ ومُرّ

غمَّه ما قد يعاني سِربُه ... من فِعال الأسْد يَدمَىٰ قلبُه

أمرَه أحكمَ في تدبيره ... وهو يشكو الدَّهر في تقديره

باحتيال العقل يحمي نفسه ... كلُّ رِخوٍ ليسَ يرجو بأسه

قوة التدبير في دفع الضرر ... في زمانِ الضَّعف أقوى وأمرّ

فإذا ما ثارَ للثأر الجنونْ ... صار عقلُ العبد خلاَّق الفتون

قال : أمرٌ حار فيه العاقلُ ... بحرُ عمٍّ ليس فيه ساحِلُ[2]

كيف للضأن فالُ الأسَدِ ... ساعدٌ رِخوٌ وفولاذُ يدِ[3]

ليس وعظٌ منْ بليغٍ قادرا ... أن يردَّ الكبش ذئباً كاسرا

لكنِ الليثُ رآه حَمَلا ... إنْ سها عن نفسِه أو غفَلا

فادَّعى في القوم دَعوى مُلهم ... مرسَلٍ للأسد شُرَّابِ الدم[4]

قال : كلُّ القوم « كذَّابٌ أشرْ » ... غافلٌ عن يوم نحسٍ مستمرْ[5]

جئتُ للنَّاس بشرعٍ مُحكَم ... إنَّني النُّورُ لطَرْف مُظلِم

عجِّلوا التوبة عن كل قبيح ... واتركوا الحر إلى الفعل الربيح

ويح جَلْدٍ أُحكمت فيه قُواهْ ... « نفي ذاتٍ » هُو إحكام الحياه[6]

---

(١) طبل النوبة كان يضرب في أوقات معينة على أبواب الملوك .

(٢) قال الكبش . . إلخ .

(٣) ساعد الضأن ويد الأسد .

(٤) فادَّعى في القوم . أي ادعى الكبش .

(٥) « كذاب أشر » و« نحس مستمر » اقتباس من القرآن . جاء في الأصل .

(٦) مذهب إقبال قائم على أن الخير في إثبات الذات والشر في نفيها .

علَفُ العُشبِ به الروح تطيبْ ... عائفُ اللَّحم إلى الله قريبْ
حدَّةُ الأسنان عارٌ مُبرَم ... بَصَرُ الإدراك منها يُظلم
إنما القوةُ خسرانٌ مبينْ ... خُصَّت الجنَّةُ بالمستضعفين
طلبُ السُّلطان شرٌّ مستطيرْ ... خيرٌ الفاقة من عزّ الأميرْ
تأمنِ الحبَّةُ برقاً مُحرِقا ... وترى البيدرَ منه محرَقا[1]
ذرةً كُنْ لا كثيباً أفيحا ... لتنال النُّور من شمسِ الضُّحى
قُلْ لمن يُزهَى بذبحِ الغنم ... اذبح النَّفس بحقٍّ تغنَمِ
يقطع السُّبْل على هذي الحياه ... قوةٌ فيها وسلطانٌ وَجاه
يوطأ العشبُ فينمو صُعُدا ... يفتح الأعينَ من بعد الرَّدى[2]
أغفِلَنْ نفسكَ إمَّا تعقلِ ... إنَّما المجنونُ منْ لم يُغفِل
اسدُدنْ عيناً وأُذناً وفما ... ليجوز الفكر أقطارَ السَّما[3]
هذه الدنيا فناءٌ في فناء ... إنَّها وهمٌ فما فيها رجاء
كانتِ الأسْدُ جهاداً مَلَّتِ ... نازعاتٍ نحو عيشِ الدَّعة
عن هوىً أصغتْ إلى النُّصح المُنيمْ ... فدهاها الكبش بالسِّحر العظيم
كان فَرس الضأن من سُنَّتها ... فاقتدت بالضأن في شِرْعتها
جوهرُ الآسادِ أضحى خزَفا ... حين صار القوتُ هذا العلَفا
ذهب العُشبُ بنابٍ ذي أشَر ... أطفأ الأعينَ ترمي بالشَّرَر
ذلكَ القلبُ عن الصَّدر نأى ... جوهر المرآة فيها صَدِئا
فذوى في القلب شوق العَملِ ... وهُيامُ السَّعي خَلْف الأمل
ذهب الإقدامُ والعزمُ الأليلْ ... والسَّنا والعزُّ والمجدُ الأثيلْ

---

(١) الحبة الواحدة لا تبالي بالبرق ولكن البرق يحرق البيدر الكبير .

(٢) يداس العشب فينمو . فالذلة فيها نفع .

(٣) لعل فيها إشارة إلى ما يفعله نساك الهند ، وإلى الصورة التي تمثل ثلاثة قرود واحدٌ يسد فمه ، والثاني أذنيه ، والثالث عينيه .

بُـرثُـن الفـولاذِ فيهـا قـد وَهَـنْ واستكـان القلـب فـي قبـرِ البـدن
ونمـا الخـوفُ بنقـص المنَّـة قَطَـع الخـوفُ جـذور الهمَّـة
كـلُّ داءٍ فـي سقـوط الهمـم يجعـل الأحيـاء مثـل الـرِّمَـم
نـامـت الأسـد بسحـر الغنـم سمَّـتِ العجـزَ ارتقـاءَ الأُمـم

***

في بيان أنَّ أفلاطون اليوناني الذي أثَّرتْ آراؤه في تصوُّف المسلمين وآدابهم كان على هذه الطريقة الغنميَّة ، وأن الاحتراز من آرائه واجبٌ

راهـبُ المـاضيـن أفـلاطُ الحكيـم منْ فريق الضأن في الدَّهر القديم
طَـرفُـه فـي ظُلمـة المعقـول ضـلّ فـي حـزون الكَـوْن قـد أعيـا وكـلّ
فكـرُه فـي غيـر محسـوسٍ فُتِـن صـدَّ عـن كـفٍّ وعَيـن وأُذن[1]
قـال : فـي المـوت بـدا سرُّ الحيـاه فـي خمـود الشَّمـع يـزدادُ سنـاهْ
حُكْمُـه فـي فكـرنـا جـدُّ عظيـمْ يمحـق الـدُّنيـا لـه جـامٌ مُنيـم
هـو شـاةٌ فـي لبـاس الآدمـيّ وهـو فـي الصـوفـيّ ذو بـأس قـويّ
عـالـمَ الأشيـاء سمَّـاه الهـراء وعَلَـتْ أفكـارُهُ فـوق السَّمـاء
فعلُـه « تحليـلُ أجـزاءِ الحيـاه » وجفـاف النَّبـع مـنْ مـاءِ الحيـاه
زعـم الخسـرانَ ربحـاً فكـرُهُ ودعـا الكـونَ فنـاءً سحـرُه
فكـرهُ يُغفـي ورؤيـا يخلُـقُ عينـه تُبصـر آلًا يَبـرُق[2]
حُـرمَ المسكيـنُ حـبَّ العمـلِ فقفـا معـدومَـه لا يـأتَلـي

---

(١) أعرض عن الحوَّاس .

(٢) يؤمن بعالم الأحلام لا عالم اليقظة ، ولا تبصر عينه الماء ، ولكن تبصر السراب . الآل : السَّراب .

منكـراً فـي الكـون مـا لا يُفقـد ... خـالقـاً فـي الكـون مـا لا يُشهَـد
عـالـمَ الإمكـان للحـيِّ وطـن ... عـالـم الأعيـان للميْـتِ حَسَـن[1]
ظَبيـهُ مـن خفـة لا يَجفـلُ ... غيـرُ خطَّـارٍ لـديـه الحجَـلُ[2]
لـم يُـلألـىء عنـده قطـرُ النَّـدى ... طيـرُه مـا فيـه صـوتٌ قـد شـدا
حبـةٌ فـي أرضـه تـأبـى النمـاءْ ... وفـراشٌ عنـده يلقـى الضيـاء[3]
فـي وغـى العـالـم نكسٌ مُحجمُ ... مُشفـقٌ راهبُنـا لا يُقـدم
قلبُـه يَعشـو لنـارٍ خـامـدهْ ... صـوّرتْ عينـاه دنيـا هـاجـدهْ
طـار مـن عـشٍّ إلـى الأوج العَلـيّ ... ثم لم يرجع إلى العش الخليّ[4]
هُلـك أقـوام بهـذا الثَّمَـل ... حُـرِمُـوا بـالنَّـوم ذوق العمـلِ

* * *

في حقيقة الشعر ، وانسلاخ الآداب الإسلامية

حـرقـةُ الإنسـانِ مـن كـور الأمـلْ ... نارُ هذا الطِّين من نورِ الأمل[5]
إنَّـه الخمـرة فـي كـأسِ الحيـاهْ ... وبـه وقـدةُ أنفـاسِ الحيـاه
الحيـاة الحـقُّ تسخيـرُ الـدُّنـى ... وإلـى التسخيـر تَـدعـوهـا المُنَـى
هـي للمقصـودِ فـي الـدُّنيـا سبيـل ... وهـي للعِشْـقِ مـن الحسـن رسـول

---

(١) الحي يعيش في عالم الإمكان ، عالم الحس ، والميت يعيش في عالم الخيال ، عالم الأعيان عند أفلاطون وهذا ردٌّ على أفلاطون .

(٢) خلق أفلاطون عالماً لا يشب ظبيه ولا يتبختر حجله . والحجل طير جميلة في مشيها تبختر .

(٣) الحبة في طبيعتها النمو والفراش في طبعه حب الضوء ولكن حبة أفلاطون تكره النمو ، وفراشه يكره الضوء .

(٤) رأى إقبال أن يخلق الفكر ليعود إلى عالم الحسّ ، لا ليبقى في عالم التفكير والتخيُّل .

(٥) الكور : مجمرة الحداد .

أمـــلُ الإنســـان أنَّـــى يظهـــر ... كيف يشجو الحيَّ هذا المزهرُ؟
كـــلُّ خيـــرٍ وبهيـــجٍ وجميـــل ... هـو فـي بيدائنا نعم الدَّليلْ[1]
حُسنُـه فـي القلـب نـورٌ يَسْطعُ ... تجـــد الآمـــال منـــه تطلُـــع
خُلِـــقَ الحســـنُ نضيـــرَ الأمـــل ... وأدام الحســـنُ نـــورَ الأمـــل

* * *

مطلـعُ الحســنِ ضميـرُ الشَّـاعـر ... طُـورُه صبـحُ الجمـالِ البـاهـر
زادتِ الحســنَ جمـــالًا نظـرتُـهْ ... زادتِ الفطـــرةَ حبّـــاً صنعتُـــه
غـــرَّد البلبـــلُ مـــنْ تلحينـــه ... ضـاءَ خـدُّ الـوَرْدِ مـن تلـوينـه
نـــاره كـــلَّ فَـــراش كـــاويـــهْ ... قِصـــصُ العشَّـــاق منـــه زاهيـــهْ
مُضمَّـرٌ فـي خَلفـه بحـرٌ وبـرّ ... ألْـف كـونٍ محـدَثٍ فيـه استتـر
كـم شقيـقٍ فـي الحشـا لـم يطلُـعِ ... وغنـــاهُ وبُكّـــى لـــم يُسمَـــع[2]
فكـــره للبـــدر والنجـــم نجـــيّ ... يُبـدع الحسـنَ ، وفـي القبـح عيـيّ
خَضِـــرٌ فـــي ليلـــه مـــاءُ الحيـــاهْ ... تُـزهـرُ الأكـوانُ مـنْ مـاءٍ بُكـاه[3]
نحـــن أغـــرارٌ بطـــاءُ الأرجُـــل ... ضـلَّ سـارينـا طـريـقَ المنـزل
لطُفـــتْ فـــي سَيـــرنـــا حيلتُـــه ... وَعَلـــتْ فـــي ركبنـــا نغمتُـــه
يحفـز الـرَّكـب لفـردوسِ الحيـاه ... ويُتـمُّ الـدَّور فـي قـوس الحيـاه[4]
فمضـى الـركبـانُ إثـر الجـرَس ... وشـدا الحـادي بصـوتٍ مـؤنِـس
وســرَت فـي زَهـرنـا نفحتُـه ... مـذ سـرت فـي روضنـا نسمتُـهُ
نفـــسٌ منـــه حيـــاةٌ تُـــزهـــرُ ... حُـــرَّةٌ لـــوَّامـــةٌ لا تصبـــرُ

---

(١) يقول : إنَّ الأمل وسيلةُ العمل ، والأمل يخلقه الميل إلى الخير والجمال .
(٢) ضمير الشاعر فيه شقائق لا يراها الناس ، وفيه بكاء وغناء لا يسمعونه .
(٣) إشارة إلى قصة الخضر واهتدائه إلى ماء الحياة في أرض الظلمات .
(٤) يكمل دائرة الحياة .

يـــأدِبُ النـــاس جميعـــاً للقِـــرى نـارُه كـالـرِّيـح تسـري فـي الـورى

* * *

ويـــلُ قـــومٍ لهـــلاكٍ طـــائـــرُه صـــدَّ عـــن ورد حيـــاةٍ شـــاعـــرُهْ
كـــلُّ حُسْـــنٍ شـــاهَ فـــي مـــرآتـــه فـي الجسـوم السُّـمِّ مـن جَـرعـاتـه
تُـــذبـــلُ الأزهـــارَ منـــه القُبَـــل ويُعـــاف الشَّـــدوَ منهـــا البلبـــلُ
تهِـــن الأعصـــابُ مـــنْ أفيـــونـــه ويمـــوتُ الحـــيُّ مـــن تلحينـــه
يسلـــب السَّـــروَ جميـــلَ المَيَـــل ويـــردُّ الصقـــر مثـــلَ الحَجـــل[1]
هـــو حُـــوتٌ نصفـــه كـــالآدمـــيِّ كبنـــات البحـــر تقتـــاد الغـــويّ[2]
يُسحـــر الـــربَّـــان منهـــا بـــاللحـــون ولقـــاع البحـــر تهـــوي بـــالسَّفيـــن
يسلـــب القلـــب ثبـــاتـــاً لحنُـــه ويُـــري المـــوت حيـــاةَ فنِّـــه
يُلبـــس النَّفـــع لبـــاسَ الضَّـــرر ويُـــري الحســـنَ قبيـــحَ الصُّـــور
فـــي بحـــار الفكـــر يُلقيـــك فـــلا تشتهيـــه أو تطيـــقُ العمـــلا[3]
شِعـــره فينـــا يـــزيـــد الكلـــلا كـــأسُـــه فينـــا تـــزيـــد المَلـــلا
سَيـــلَ بـــرقٍ مـــا حَـــوىٰ نيســـانُـــه آلِ لَـــونٍ وشـــذًا بستـــانـــه[4]
فنُّـــه بـــالحـــقِّ لا يعتـــرف بحـــرُه مـــا فيـــه إلا الصَّـــدَفُ
نـــوَّمـــتْ ألحـــانُـــه يقظَتنـــا أطفـــأت أنفـــاسُـــه شعلتنـــا
بلبـــلٌ سُـــمُّ قلـــوبٍ نغَمُـــه ضِغْـــثُ وردٍ فيـــه ينـــوي أرقمـــه
خمـــره الـــلألاءةَ اتـــرك واحـــذرِ كـــأسَـــه والطـــاسَ والـــدَّنَّ اهجـــرِ

---

(١) السَّرو : شجر طويل يصفه الشعراء بالرشاقة والتمايل .

(٢) بنات البحر : حيتان خرافية نصفها الأعلى كالإنسان ، تغوي الملاحين بأنغامها حتى تغرق السفن .

(٣) أي لا تشتهي العمل ، ولا تطيقه .

(٤) نيسان من شهور الربيع يكثر فيه المطر . وهذا الشاعر الذي يصفه إقبال ليس في نيسانه سيل من البرق ، أي ليس في سحابه برق ولا مطر . وقد شبه إقبال وميض البرق بالسيل . والآل : السراب ؛ أي : بستانه سرابٌ من اللون والرائحة .

يـــا صـــريعـــاً خمـــرَهُ يَغْتَبـــقُ ... لـــكَ صبـــحٌ مـــنْ سنـــاهـــا مشْـــرِقُ

يـــا بَـــرودَ القلـــب مـــن ألحـــانـــه ... قـــد شـــربـــت السُّـــمَّ مـــن تبيـــانـــه

يـــا دليـــلاً للـــرَّدى أفكـــارُهُ ... عُطِّلَـــتْ مـــنْ نغـــمٍ أوتـــارُه

أنـــت للـــذُّلِّ أرحـــتَ البـــدنـــا ... أنـــت لـــلإســـلام عـــارٌ فـــي الـــدُّنَـــى

مـــنْ نسيـــمٍ مَـــرَّ يَـــدمَـــى خَـــدُّكـــا ... بعـــروق الـــورد يُلـــوى قـــدُّكـــا

أخـــزتِ العِشـــقَ دُجَّـــى صيحـــاتُكـــا ... غـــضَّ مـــن صـــورتـــه بهـــزادُكـــا[1]

شـــاحـــبَ الـــوجـــه بـــدا مِـــنْ ضُـــرِّكـــا ... بـــردتْ نيـــرانُـــه مِـــنْ قُـــرِّكـــا

عـــاجـــزُ الهمَّـــة مِـــنْ ذِلَّتكـــا ... وعليـــلُ الـــرُّوح مـــن عِلَّتكـــا

أدمـــعُ الأطفـــال فـــي كـــاســـاتـــه ... كنـــزه مـــا اعتَـــدَّ مـــن آهـــاتـــه

آه مِـــنْ وغـــدٍ ذليـــلٍ يـــائـــس ... هـــالـــكٍ مـــن رَكَـــلات الحـــارس[2]

صـــار كـــالنـــاي هـــزيـــلاً نـــائحـــا ... شـــاكـــيَ الأقـــدار جهـــلاً صـــائحـــا

ليـــس إلا الحقـــدُ فـــي جـــوهـــرِهِ ... ليـــس إلا العجـــزُ فـــي مخبـــره

يـــائـــسٌ فَســـل حليـــف الخيْبـــة ... شِقْـــوَةٌ فـــي خِسَّـــةٍ فـــي ذلَّـــة[3]

نَـــوحُـــه روحُـــك منـــه فـــي سَقـــامْ ... قـــد حمَـــى جيـــرانَـــه طيـــبَ المنـــامْ

ويـــحَ عشـــقٍ قـــد ذكـــا فـــي الحـــرَمِ ... نـــارُه بـــاخـــت ببيـــت الصَّنـــمِ !

* * *

صيـــرفـــيَّ القـــول ! إن تبـــغ النَّجـــاهْ ... فـــاجعلـــنْ معيـــارَه نـــارَ الحيـــاه

نيِّـــرُ الفِكْـــرِ يقـــود العمـــلا ... مثـــلَ بـــرقٍ قـــادَ رعـــداً جلجـــلا

---

(١) بهزاد : مصور إيراني ماهر . يقول إقبال : إنَّ هذا الشاعر شوَّه صورة العشق . وفي الأبيات التالية يبين ما أصاب العشق من الذلة والخور على لسان شاعر السوء .

(٢) يستجدي أو يحاول السَّرقة فيركله الحارس .

(٣) هذه الأوصاف تعرب عن غيظ إقبال من الشعراء الذين أذلوا الآداب الإسلامية .

مـنْ بفكـرٍ صـالـحٍ فـي الأدب ؟ ... ارجعَـنْ يـا صـاحِ شطـر العـرب[1]
وسُلَيْمـى العُـرب يـا صـاحِ اعشقـا ... لتـــرى صبـــحَ الحجـــازِ ائتلقـــا
فـي ريـاض العجـم قطَّفـتَ الـزهَـرْ ... فـي ربيـع الهنـد سـرَّحـت البصـر
مـن حَـرور البيـدِ فـاشـربْ يـا رفيـقْ ... واشـربـنْ مـن تمـرهـا الـراحَ العتيـقْ
أسْلِمَـنْ رأسـكَ يـومـاً صـدرَهـا ... وأَلْقِيَـنْ فـي حـرِّهـا صـرصَـرهـا
قـد لبسـت الخـزَّ طـول الـزمـنِ ... فـألـفِ الكِـرْبـاس يـومـاً واخشُـنِ
كم وطئتَ الورد في طول المدى ... غـاسـلاً ، كـالـورد ، خـدّاً بـالنَّـدى
فعلـى رمـلِ الصَّحـارى المُضـرَمِ ... أقـدِمَـنْ يـومـاً وغُـصْ فـي زَمـزمِ
فيـم هـذا النـوحُ مثـلَ البلبـل ؟ ... وإلام العُـشُّ بيـن الظُّلـلِ ؟
قـد عـلا جـدُّ الهُمـا مـن صيـدكـا ... اجعلـن فـي الطـود مثـوى عُشِّكـا[2]
ابـن عُشّـاً حيـث لا تَـرْقـى الأنـوقْ ... تختفـي فيـه رعـودٌ وبـروقْ[3]
لتُـرى أهـلاً لأعصـار الحيـاهْ ... وتُـذيـبَ النَّفـسَ فـي نـار الحيـاهْ

* * *

---

(١) إقبال معجب بالعرب الذين حملوا رسالة الإسلام إلى أقطار الأرض لا يصدُّهم شيء ، ويكبر الهمة والقوة والصبر فيهم ، ويمدح الأدب العربي القوي .

(٢) الهما : طائر خرافي إن سقط ظله على إنسان صار ملكاً ، والشاعر هنا يخاطب المسلم قائلاً إن الهما الذي يمنح الناس الحظ قد علا حظه بأنك صدته فأنت أعلى منه . فارفع عشك فوق الجبل .

(٣) الأنوق : العقاب .

في بيان أنَّ للتربية الذَّاتية ثلاث مراحل :
الأولى : الطَّاعة ، والثانية : ضبط النفس ، والثالثة : النيابة الإلهية

المرحلة الأولى
الطَّاعة

أَلْفَــةُ الكــدِّ شعــارُ الجمــلِ ... شيمــةُ الصَّبــر وَقــارُ الجمــلِ
صــامــتَ الأخفــافِ يمشــي مــاضيــا ... زَورقــاً فــي البيــدِ يَسـري هــاديــا
نقشــت وجــهَ الصحــارى أرجُلُــهْ ... شــاردَ النَّــوم قليــلاً أكُلــهْ
ثمِــلاً يختــالُ تحــتَ المحمَــل ... راقصــاً يُقــدمُ شطــر المنــزلِ
فــي المَــدى مــن راكبيــه أصبــرُ ... هــائــمٌ بــالسيــر عُجبــاً يَخطِــر

* * *

فــاحمــلِ الفَــرضَ قــويــاً لا تهــابْ ... وارجونْ منْ عنده حُسْنُ المآب[1]
اجهــدَنْ فــي طــاعــةٍ يــا ذا الخســارْ ... فَمِــنَ الجبــر سيبــدو الاختيــار[2]
بــامتثــال الأمــر يعلــو مــنْ رسـبْ ... وهَــوى الطَّــاغي ولــو كــانَ اللَّهــب
سخِّــر الأفــلاكَ فــي همَّتــهِ ... مــن ثــوى فــي القَيــد مــن شـرْعتِـه
قــد ســرى النَّجــمُ يــؤمُّ المنــزلا ... طــوعَ قــانــون لــه قــد ذُلِّــلا
ونمــا العشــب بقــانــون النَّمــاءْ ... فــإذا مــا حــاد يُجفَــى بــالعــراءْ
ولهيــبٌ دائــمٌ ديــنُ الشَّقيــقْ ... دمُه منْ ذاك يسري في العروق[3]
يــربــط الــذَّراتِ قــانــونُ الــوصــالْ ... فهــي بحــرٌ وهــي بــرٌ بــاتصــال

---

(١) اقتباس من القرآن . وهو في الأصل .
(٢) إذا وفق الإنسان بين نفسه وبين القانون أطاع القانون مختاراً لا مجبراً .
(٣) الشقيق : شقائق النعمان . وهي في الشعر مثال الوجد والاحتراق .

كـلُّ شـيءٍ فيـه قـانـونٌ سـرى ... كيف في هذي المعاني يُمترى ؟[1]
ارجعـنْ يـا حُـرَّ دُستـورٍ قـديـمْ ... زَيّنـنْ رِجْلَـكَ بـالقيـد الـوسيـمْ
شـدّةً فـي شـرعنـا لا تشكـوَنْ ... وحـدودَ المصطفـى لا تعـدُونْ[2]

* * *

المرحلة الثانية

ضبطُ النَّفس

جَمـلٌ نفسُـك تـربـو بـالعلَـف ... فـي إبـاءٍ وعنـادٍ وصلَـفْ
فكُـنِ الحـرَّ وقُـدْهـا بـزمـامْ ... تبلُغـنْ مـن ضبطهـا أعلـى مَقـامْ
كـلُّ مـن فـي نفسـه لا يحكـمُ ... هـو فـي حُكـم سـواه مُـرغَـمُ
إنَّمـا صـوِّرت مـن طيـن لَـزبْ ... سيط في أمْشاجه خوفٌ وحبّ :
خيفـةُ الـدُّنيـا وخـوفُ الآخـره ... خـوفُ مَـوتٍ ورزايـا فـاقـره
حـبُّ جـاهٍ وثـراء وبلـدْ ... حُـبُّ زوجٍ وقـريـبٍ وولـدْ
مـن مـزاج الطِّيـنِ والمـاء البـدن ... مَـركـبُ الأهـواء ، مَغلـوبُ الفِتـن
مـنْ يَمسَّـك بعصـاً مـن « لا إلـه » ... فلتحطِّـم طِلْسـم الخـوف يـداه[3]
كـلُّ مـن بـالحـقِّ أحيـا نَفْسَـهُ ... لا تـرى البـاطـلَ يُحنـي رأسَـهُ
ليـسَ يـدنـو الخـوفُ منـه أبـدا ... ليـس ، غيـرَ الله ، يخشـى أحـدا

---

(١) في الأبيات السابقة ضرب الشاعر أمثالاً مختلفة لسير الأحياء والأشياء على قوانين .

(٢) ينصح المسلم بالتزام الشرع واحتمال شدته . فهذا قانون لا يسعد الإنسان بدونه . ويقول للمسلم كنت حراً باتباع دستورك القديم فارجع وقيد رجلك بهذا القيد الجميل ، ففي هذا القيد حريتك لا عبوديتك .

(٣) لا إله : اختصار لا إله إلا الله . وهكذا يستعملها الشاعر في كثيرٍ من شعره . قوله : إنما السبيل إلى إبطال طلسم الخوف أن تمسك عصا من التوحيد كعصا موسى تبطل السحر .

لُ مـنْ مـوطنُـه إقليـم « لا » مـنْ قيـودِ الـزَّوج والـولـد خـلا[1]
ـرضٌ عمـا سـوى الله الأحـدْ يضـعُ السكِّين في حلق الـولَـدْ[2]
حـدٌ مـن نفسـه فـي عسكـرِ يبـذلُ الـرُّوحَ بيـومِ الخطَـرِ

* * *

ةُ التـوحيـد ، فـاحفظهـا الصـلاة حَجُك الأصغر ، فاعرفها الصلاة
ي يـد المسلـم هـذا الخنجـرُ يُقْتَـل الفحـشُ بـه والمنكـرُ
ـك الصـومُ بجـوعٍ وصـدَى ضـابطـاً بـالقسـط هـذا الجسـدا
نيـرُ الحـجُّ قلـبَ المـؤمـنِ هجـرةُ الأهـل بـه والـوطـنِ
ـا الطـاعـة أسُّ الأمـة إنهـا خيـطُ كتـاب الملَّـة[3]
الـزكـاة العـابـدُ المـالِ ادَّكـرْ علَّمـت حـبَّ المسـاواة البشـرْ
ـرُ المـالَ ، وشُحَّـاً تمحـقُ « لـن تنـالـوا البـرَّ حتـى تنفقـوا »
ـك أسبـابٌ بهـا تَستحكِـمُ إنْ يكـنْ فـي القلـب ديـنٌ مُحكـم
ـوَ يـا مـؤمـنُ بـالله القـويّ تحكُمَـن في ذلـك البَكـر الأبـيّ[4]

* * *

المرحلة الثالثة

النيابة الإلهية

خَطمتَ الصَّعبَ قُدْتَ العالما نـافـذَ الأمـرِ عليـه حَكَمـا[5]

---

(1) لا إشارة إلى نفي ما سوى الله .
(2) يضع السكين في حلق ولده كإبراهيم الخليل .
(3) خيط الكتاب ما تضم به صفحاته بعضها إلى بعض .
(4) البكر : الجمل الفتي ، ويراد به الجسد مسايرة للتشبيه الذي بدأ به الفصل .
(5) لا يزال الشاعر في تشبيه الجسد بالجمل . فالصعب هنا الجمل غير الذلول .

مشرقاً في الأرضِ ما دارَ الفلك ... فترى المُلك الذي يخلُد لكْ
نائبُ الحقِّ على الأرض سعيدْ ... حكمُه في الكون خُلْدٌ لا يبيدْ
هو بالجزءِ وبالكلِّ خبير ... وبأمر الله في الأرض أميرْ
في فسيح الأرض يمضي طاويا ... وعزمُه ، هذا البساط البالياً[1]
ينجلي منْ فكره مثلَ الزَّهر ... غيرَ هذا الكون أكوانٌ أخر[2]
يُنضج الفكرة فينا بالضَّرَمْ ... يُخرج الأصنام من بيت الحرمْ
رنَّ عودُ القَلْبِ من مضرابه ... يَقظٌ في الحق نومانُ به[3]
باعثٌ في الشَّيب ألحان الشبابْ ... ناشرٌ في الكون ألوان الشَّباب
هو في الناس بشيرٌ ونذيرْ ... وهو جُنديٌّ وراعٍ وأميرْ
مقصدٌ من « علَّم الأسما » هُوَه ... سرُّ « سبحان الذي أسرى » هُوَه[4]
مُحضرٌ منْ تحته طِرفُ الزَّمانْ ... حينما يُمسِكُ منه بالعنان[5]
يبعث الأرواحَ منه قولُ « قُمْ » ... وهي إلى أبدانِها مثلُ الرَّمم[6]
ذاتَه تتبَعُ ذاتُ العالَم ... سطوةٌ فيه نجاة العالَم
يبعث الميتَ بإعجازِ العملْ ... قِيَمُ الأعمالِ منه في بدَل[7]
سيرُه يخضرُّ في بيدائه ... كم كليمٍ هام في سينائه !
جدَّدَ الدُّنيا بتفسيرٍ جديدْ ... عبَّر الرؤيا بتعبيرٍ جديد
كونُه المكنونُ أسرارُ الحياهْ ... نغمةٌ يُضمرُ مزمارُ الحياهْ

---

(١) البساط البالي : الأباطيل الموروثة .
(٢) يخلق من فكره أكواناً أخرى ، لا يقيده ما هو واقع .
(٣) المضراب : أداة تضرب بها أوتار العود .
(٤) الهاء في هوه للوقف . والبيت مردوف والقافية في « الأسما » و« أسرى » .
(٥) يعدو تحته حصان الزمان ، أي يسير الزمان سريعاً إلى مقصده .
(٦) إن قال قم انبعثت الأرواح من قبور الأبدان .
(٧) يبدل قيم الأعمال بما يضع من معايير جديدة .

شـــاعـــرُ الفِطـــرةِ غنَّـــى طبعَـــه ... ليقيـــم الـــوزنَ إذْ أبـــدَعـــه
نقعنـــا ثـــار إلـــى أوجِ السَّمـــاء ... فبـدا الفـارسُ مـن هـذا الهبـاء[1]

* * *

فـــي رمـــاد اليـــوم منَّـــا تـــرقُـــدُ ... شُعلـةٌ يـرمـي بهـا الكـونَ الغـدُ
روضـــةٌ تُضمـــرهـــا أكمـــامُنـــا ... ضـاءَ مـن صبـح غـدٍ أبصـارُنـا[2]
أنـت يـا فـارسَ طِـرف الـزَّمـنِ ! ... أنـــت يـــا نـــوراً لعيـــن الممكـــنِ
مـــوكـــبَ الإنشـــاء هيَّـــا زيِّـــنِ ... وتمكـــنْ فـــي ســـواد الأعْيُـــن
قُـمْ فسكِّـن مـن ضَجيـج الأمـمِ ... وامـــلأ الآذان زهـــرَ النَّغَـــم
جـدِّدَنْ فـي النـاس قـانـون الإخـاء ... وأدِرهـــا كـــأسَ حـــبٍّ وصفـــاءْ
أبلـــغ النـــاس رســـالاتِ السَّـــلامْ ... وأعـــدْ فـــي الأرض أيـــام الـــوئـــام
مـــنْ بنـــي الإنســـان أنـــت الأمـــلُ ... أنـــت مـــنْ ركـــب الحيـــاة المنـــزلُ
أذْبلَـــتْ كـــفُّ الخـــريـــف الشجـــرا ... فـــاغـــدُ فـــي الـــروض ربيعـــاً نضِـــرا
نحـــن مـــن فيضـــك نسمـــو للقُلَـــلْ ... في جهاد الكون نمضي كالشُّعل[3]

* * *[4]

---

(١) يكثر في الفارسية ذكر الفارس والغبار . يقال مثلاً : رب فارس في هذا الغبار . والشاعر يقول هنا : قد أصابنا ما أصابنا ومرت بالناس محن فارتفع غبارهم فظهر هذا الفارس من هذا الغبار يعني أن هذا الإنسان الكامل لا يناله الناس إلا بعد حوادث شديدة .

(٢) الأكمام جمع كم الزهرة قبل أن تنفتح ، يقول : إنَّ الكم عندنا سينفتح عن روضة ، وعيوننا تضيء بنور المستقبل .

(٣) الأبيات السبعة الأخيرة خطاب للإنسان الكامل أو النائب الإلهي .

(٤) هنا عنوان فصل حذفته وحذفت معه اثنين وعشرين بيتاً لم أجد في ترجمتها فائدة . والكلام بعدها متصل بما قبلها .

يـا أخـا الـوردة كـن صنـوَ الحجـرْ ... وكـن السـورَ لبستـان الـزَّهـر[1]

آدميَّـاً صـوِّرن مـن تُـربكـا ... ثـم شيِّـد عـالَمـاً بـدعـاً لكـا

أنـت إن كنـت تـرابـاً هيِّنـا ... فليضـع غيـرُك منـك اللبنـا

أيهـا الصَّـارخ مـن جَـور الـدَّهـر ... يـا زُجـاجـاً يشتكـي جـورَ الحجـرْ

فيـمَ هـذا النـوح ؟ مـاذا المـأتـمُ ؟ ... وإلام الصَّـدرَ حُـزنـاً تَلـدِم ؟

مضمـرٌ فـي السعـي مضمـونُ الحيـاهْ ... لـذَّة التخليـق قـانـون الحيـاهْ

قُـمْ فشيِّـد عـالمـاً دون مثيـل ... وخُـضِ النـار وأقـدِمْ كـالخليـل

إنمـا السَّيـرُ علـى حُكـم الـزَّمـانْ ... هو رَمْيُ التُّرس في وقت الطِّعانْ

إنَّمـا الحـرُّ الشجـاع الفطِـنُ ... مـن قفـا الآثـارَ منـه الـزَّمـنُ

وإذا الـدُّنيـا عَتـتْ عـن أمـره ... حـاربَ الـدَّهـر ، ولـم يعبـأ بـه

يهـدم المـوجـودَ فيمـا آثـرَا ... يمنـح الـذرَّاتِ شكـلاً آخـرَا[2]

يصـرفُ الأيـامَ عـن كـرَّاتهـا ... يمنـع الأفـلاك مـن دوراتهـا[3]

خـالقـاً مـن قـوةٍ فـي قلبـه ... ذلـك العصـرَ الـذي يـرضـى بـه

فـإذا أعـوز عيـشُ الـرَّجُـلِ ... فـالحيـاةُ المـوتُ مـوتَ البطـل

حبـذا عشـقٌ بغَـى الأمـر الجليـلْ ... وجنـى فـي النَّـار ورداً كـالخليـل

تتجلَّـى فـي مِـراس المُعْضـلِ ... قـوة كـامنـةٌ فـي البطـل

عُـدّة الأنـذال حقـدٌ لا سـواه ... استمع : صاح ، ذا شرع الحياه :

الحيـاةُ الحـقُّ بـأسٌ يظهـرُ ... حُـب الاستيـلاء فيـه مضمـرُ

ربَّ عفـوٍ كـان مـن آفـاتهـا ... يكسـرُ المـوزونَ مـن أبيـاتِهـا

يحسَـب العجـزَ قُنـوعـاً خـانـعُ ... لصـروف الـدهـر ذلٌّ طـائـعُ

---

(١) لا تكن وردة وكن كالحجر صلابةً ، وكن سوراً يحمي الأزهار .

(٢) يغير نظام الموجودات إن لم تلائمه . يعني يسخّر عالم الطبيعة في مراده .

(٣) يغير ما يزعمه الناس من تأثير الفلك وحكم الأيام .

قـاطـعٌ سُبـلَ الحيـاة الخَـوَرُ ... قَلْبُـه خَـوفـاً وكِـذْبـاً يُضْمـرُ
قَلْبُـهُ مـنْ كـلِّ خيـرٍ فـارغٌ ... ليتـه فـي كـلِّ خبـثٍ والـغُ
فـي كميـنٍ راصـدٌ هـذا اللئيـمْ ... فاحذرنْ يا صاحبَ العقل السليمْ
احـذرنْ يـا صـاحِ مـنْ تـزيينـه ... إنَّـه الحِـربـاء فـي تلـوينـه[1]
إنَّـه يخفـى علـى أهـل النظـر ... لَبَـسَ الحـقّ عليهـم واستتـر
فـي ثيـاب الليـن حينـاً يظهـرُ ... وهـو حينـاً فـي اتضـاعٍ يُستَـر
وهـو طَـوراً فـي ثيـابِ المُجبَـرِ ... وهـو طـوراً فـي حجـابِ القَـدَر
وهـو حينـاً فـي لبـاس التَّـرف ... يُلبـسُ الصِّحـةَ ثـوبَ الـدَّنَـف
مـا سـوى القـوةِ للصِّـدق دَعَـمْ ... اعـرفـنْ نفسك ، هـذا جامُ جم[2]
هـي مـن حقـل الحيـاة الحـاصـل ... فُسِّـر الحـقُّ بهـا والبـاطـلُ
مـدَّعـاه فـي غنـىً عـن حجـة ... إنْ تحـدَّى المـدَّعـي بـالقـوة
تجعـل البـاطـل حقَّـاً مـاثـلاً ... وَهَـنُ الحـقّ يُحـقُّ البـاطـلا
سطـوة القـوَّة تُحلـي مـا أمـرّ ... إنْ تقـل للخيـر شـرٌّ فهـو شـرّ[3]
أيُّهـا الغـافـلُ عمَّـا حُمِّـلا ... أنـت فـي الكـونيـن أعلـى مـزلا
افتحـنْ عينـاً وأُذنـاً وفمـا ... تُبْصـرِ الحـقَّ طـريقـاً مُعلَمـا

* * *

(١) الضمير في هذا البيت والأبيات التالية يعود إلى الخور . وفيها يبين إقبال تعذير الضعفاء والتماس أسماء مختلفة لضعفهم .

(٢) جام جمشيد وهي كأس خرافية كانت ترى فيها الأقاليم السبعة .

(٣) ينبغي أن يذكر القارىء أنَّ إقبالاً يعني قوة الروح والخلق أيضاً .

قصة فتًى من مرو جاء إلى السيد المعظم علي الهجويري[1] شاكياً بغي أعدائه

مُجتبى هُجويرَ مقصودُ الأمَمْ ... من رأى الجِشيّ مثواه الحرم[2]
قطع الأطوادَ واجتازَ السُّدود ... باذراً في أرضنا بذر السُّجود
زمن الفاروق منهُ يُشرقُ ... وبه للحقِّ يعلو منطقُ
حارسُ العزَّة منْ أمِّ الكتاب ... معقلُ الباطل منه في تَباب
حيَّت البنجابُ من أنفاسه ... صُبْحُنا نوَّر من نبراسه
ذا رسولُ العشقِ ، وهو العاشق ... فيهِ سرُّ العِشْق بادٍ بارقُ

* * *

قصةٌ أسْرِدُها في أسْطرِ ... طاوياً في الكِمِّ روضَ الزَّهَر :
قد أتى لاهورَ منْ مروَ فتى ... قدُّه كالسَّرْوِ عالٍ قد عتا
جاء عند السَّيد العالي الجنابْ ... كاشفاً منْ نوره عنه الضَّبابْ
قال : إني في عُداةٍ لؤمُوا ... كزجاجٍ بصخورٍ يُصدَم
علِّمني أيُّها الشيخ الكبيرْ ... كيف عيشي بين أعداءٍ كثير
فأجاب الشيخ ، من فيه الجمال ... قد تجلَّى في إطارٍ من جلال :

---

(١) الشيخ علي الهجويري مؤلف كتاب « كشف المحجوب لأرباب القلوب » في التصوف . كان من كبار الصوفية الذين وفدوا على البنجاب ، ووعظوا فيها ، ونشروا الدعوة الإسلامية . توفي سنة ٤٦٥هـ ومزاره في لاهور ، يقصده الناس من كل صوب ، ونسبته إلى هجوير إحدى قرى غزنة .

(٢) الشيخ معين الدِّين الجشيّ أحد عظماء الصوفية ودعاة الإسلام في الهند . أسلم بدعوته كثيرٌ من الهنادك ، أقام في أجمير وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ ، ومزاره أعظم المزارات الإسلامية في الهند ، ويشير إقبال في هذا البيت إلى زيارة الجشيّ قبر الهجويري في لاهور واعتكافه عنده زمناً .

أيها الغافلُ عن سرِّ الحياهْ ... لا يَميزُ الخيرَ من شرِّ الحياهْ

حرِّرَنْ نفسَك من يأسٍ وغمّ ... أنت بأسٌ نائمٌ ، قُمْ لا تنمْ

إن رأى النَّفس زجاجاً حجرُ ... فهو في الحقِّ ، زجاجٌ يُكسر

وإذا خارت قواه السائرُ ... قطع السُّبْلَ عليه الفاجرُ

كم ترى نفسك طيناً قد حُقِر ... شعلةَ الطُّور من الطِّين أثِرْ

فيمَ شكواك الرفيقَ النافعا ... فيمَ شكواك العدوَّ الخادعا

كم عدوٌّ لك ، في الحق صديقْ ... أنت بالأعداء ذو غُصنٍ وريق

قوة الأعداءِ فضلاً يَعلمُ ... من مَقامَ « الذَّات » حقّاً يَفهم

يوقظُ الخَصْمُ قِواك الهاجدهْ ... مثلَ ما تحيي الموات الراعدهْ[1]

قوةُ العزم تذيب الحجرا ... لا يبالي السيلُ صخراً إنْ جرى

تشحذُ العزمَ عِقابُ السُّبُل ... امتحانُ العزم بُعدُ المنزلِ[2]

ما حياةٌ دونَ عزمٍ مُحْكَمِ ؟ ... ما غَناءُ العيش مثلَ النَّعَم ؟

زلزلِ العالمَ وافعل ما ترى ... إن حَبَتْك الذَّاتُ عزماً مُسْعَرا

اهجرنَّ الذَّات إن تبغ الفناءْ ... واعمُرنَّ الذات إن شئت البقاءْ

ما الرَّدى ؟ أن يدركَ الذاتَ الوَسَنْ ... أتراه بُعدَ روحٍ وبدن ؟[3]

يا أخا يوسف في الذَّات أقمْ ... ومنَ السِّجن إلى المُلك استقِم[4]

أحْكمنَّ الذات وانهض عاملا ... ناصراً للحقِّ ، سرّاً حاملا

هاكَ سرّاً في حديثٍ مؤنسِ ... افتح الكِمَّ بحَرِّ النفَس[5]

« حبذا سرّ حبيب يُضْمَرُ ... في حديثٍ عن سواه يؤثر[6] »

---

(١) السحابة الراعدة : الممطرة .

(٢) العقاب : جمع عقبة .

(٣) الردى : أن تغفل الذات لا أن يفارق الروحُ البدن .

(٤) كن مثل يوسف أقام في نفسه فأحكمها ، فمضى من السجن إلى الوزارة .

(٥) أبدي السر في قصة قصيرةٍ ككم الزهرة .

(٦) هذا البيت من شعر جلال الدين الرُّومي .

قصة الطائر الذي أجهده العطش

طـائـرٌ مِـنْ ظمـإٍ قـد جهـدا ... كـدخـانٍ نفَسـاً قـد صعَـدا
قَـدْ رَأى ألمـاسـةً مثـلَ النَّـدى ... صـاغهـا مـاءً لعينيـه الصَّـدى
خَـدَعتـه شـذرةٌ مثـلُ الشَّـرر ... فـرأى الجاهـل مـاءً فـي الصَّخَـر
لـم يجـدْ ريّـاً بضَـرْبِ المِنقَـر ... لـم يُصـب مـاءً بنقـر الجـوهـر
قـالـتِ الشَّـذرة : جُنِّبـتَ الهُـدى ... تضـرب المنقـار في جسمي سُـدى
لسـتُ مـاءً . لا تـرانـي سـاقيـه ... مـا أنـا مـن أجـل غيـري بـاقيـه
جـاهـلٌ يقصـد هضمـي مـا اهتـدى ... لحيـاةٍ نـورُهـا منهـا بـدا
كـلُّ منقـارٍ بمـائـي ينكسـرْ ... وتـرى الإنسـان منـه ينبهـر
مـا رأى الطـائـرُ فيهـا أربـا ... فتـولَّـى عـن سنـاهـا لغَبـا
حسـرةٌ فـي صـدره تتَّقـدُ ... زفـراتٍ لحنُـه يصَّعَّـد

* * *

وأضـاءت مثـلَ دَمْـعِ البلبـلِ ... قطـرةٌ فـي غُصْـنِ وردٍ خَضِـل
لضيـاء الشمـس فيهـا مِنَّـةٌ ... ولخـوف الشمـس فيهـا رعـدة[1]
كـوكـبٌ يـرعَـد مِـنْ نَسْـلِ السَّمـاءْ ... شـاقـه الجلـوة في هـذا الفضـاء[2]
غـرَّه الأكمـام والـزَّهـر الخصيـبْ ... لـم يـزوَّد مـن حيـاةٍ بنصيـب[3]
قطـرةٌ مـنْ دَمْـعِ صـبٍّ تبهَـر ... زانـتِ الهُـدْبَ وكـادت تقطِـر

---

(١) هي مضيئة بنور الشمس ، وهي في خوفٍ أن تجفَّ في أشعة الشمس .
(٢) قطرة الندى كأنها كوكب من السماء تجلى على الأرض ، والندى في شعر إقبال يرمز أحياناً للأمور العلوية .
(٣) الأكمام : أكمام الزهر ، وهذه القطرة سريعة الزوال ، لم تأخذ نصيباً من الحياة الذاتية .

فمضى الطائر فيها راغبا ... بلَّ بالقطرة حَلقاً لاهبا
أيُّها الباغي عدوّاً تقهرُ ! ... قطرةٌ أنت ، تُرى ، أم جوهر ؟
حينما الطائر أضناه صداه ... حيَّ نفساً بحياةٍ منْ سِواه
كانت الشَّذرةُ عضباً يُرهَب ... لم تكنْ قطرةَ طلٍّ يُشربُ
قوةَ الذَّات احفظنها أبدا ... وكنِ الألماس لا قطر الندى
أنضج القطرة كالطَّود تُرى ... حاملاً غيماً مُفيضاً أنهرا
أثبتِ الذَّات وفيها حَقِّق ... فِضةً كن بالتئام الزِّئبق[1]
ومنَ الذَّات أَبنْ أسرارها ... حرِّكَنْ عن لحنها أوتارها

* * *

قصة الألماس والفحم

قصةٌ أخرى بها أُدلي إليك ... يفتح الحقُّ بها باباً عليك :
قال للألماس فحمُ المعدِن : ... يا حليفَ النُّور طول الزَّمن !
نحن صنوان نَمانا والدُ ... أصلُنا في الكون أصلٌ واحدُ
وعلى التيجان أنت الزينةُ ... وأنا في التُّرب حظِّي الذلَّة
لك حسنٌ في المرايا يسطعُ ... وأنا مِنْ كفِّ ترب أضيَع
من ظلامي قد أضاء المجمرُ ... ورماداً آض فيَّ الجوهر
مَوطىءَ الأقدام بين البشَرِ ... قد رموا في مهجتي بالشَّرَر
إنَّ حالي ببكاء لَحَرى ... هل ترى أصلي وفصلي هل ترى ؟
إنَّني موج دُخانٍ يُعقَد ... كلُّ ما فيَّ شرارٌ يَصعدُ
ومن الأنجم فيكَ الرَّونقُ ... كلُّ جنبٍ فيك نورٌ يُشرق

---

(١) كن في صلابة الفضَّة باجتماع الذرات المضطربة كالزئبق .

تـــارةً نـــورٌ بعينَـــيْ قيصـــرا تـــارةً فـــصٌّ يـــزيـــن الخِنجـــرا

* * *

قـال : فـاسمـع يـا رفيقـي وافهـمـ ا ينضـــج التـــربُ فيغـدو خـاتَمـا
شـنَّ فيمـا حـولـه حـربـاً ومـرّ وغـدا بـالحـرب صلبـاً كـالحجـر
هيكلـي مِـنْ نضجـه قـد نـوَّرا وبصـــدري كـــم شعـــاعٍ أسفـــرا
أنـت مِـنْ ضَعـفٍ وكيـان تنفَـق وبليـــنٍ فـــي قـــوام تُخْـــرَق
اهجُـرنْ خـوفـاً وغمّـاً لا تهُـن وانضَجَنْ كالصَّخر والألماس كُن
مـن أجـاد السعـي والأخـذ معـا فهـو فـي الـدَّاريـن بـدرٌ طلعـا
وبحِجْـر الكعبـةِ انظـر حجـرا كـانَ مـنْ قبـلُ تـرابـاً حُقِـرا
جـاوَزَ الطـورَ عـلاءً لا جـرم ورَجَـتْ تقبيلَـهُ كـلُّ الأمـم
قـوةُ الأحيـاء عـزٌّ ونجـاهْ والـونَى والـذلُّ مـنْ ضعفِ الحياه

* * *

قصَّة الشيخ والبرهمي ، ومحاورة نهر الجنج وجبل همالا في معنى دوام حياة الأمة بالتمسُّك بسنتها

بـرهمـيٌّ فـي بنـاريـسَ علـمْ غـائـصٌ فـي فكـر كـونٍ وعـدَم[1]
بـرجـالِ الله يحفَـى فِعلُـه ومـن الحكمـة وافٍ كِفلُـه
عقلُـه فـوق الثـريَّـا قـد عـلا ذهنـه مـاضٍ يحُـلُّ المشكـلا
فكـره العنقـاءُ إمـا حلَّقـا شعلـةٌ منهـا السَّمـاك احتـرقـا
كـأسُـه دهـراً خَلَـتْ مـنْ خمـرةٍ قـد حمـاهُ الـراحَ سـاقـي الحكمـة
فـي ريـاض العلـم ألْمَـى شبَكـا طـائـرَ المعنـى بـه مـا أدركـا

---

(١) بناريس : المدينة المقدسة في الهند عند الهندوس .

فكـرَه أدْمَـى ولكـنْ لـم تـزلْ عُقـد الأكـوانِ فيـه دون حـلّ
أعـربَـتْ عـن يـأسـه آهـاتُـه وحكـت حَيـرتَـه نظْـراتُـه
سـار يـومـاً نحـو شيـخٍ كـامـلٍ رُبَّ صَـدْرٍ بفـؤادِ آهِـلِ
لقـيَ الشَّيـخ بنفـس راجيـه تحسـنُ الصَّمـت ، وأذنٍ واعيـه :
فـأهـاب الشيـخ : يـا خِـدنَ السمـا اهبطـنَّ الأرضَ وارعَ الـذِّمَمـا
ضقـتَ فـي الأرض مجـالًا فعـلا فكـرُك المقـدام فـي أوج العُلَـى
طـاويَ الأفـلاك ! فـي الأرض قُـمِ لا تطِـرْ تطلـب سـرَّ الأنجُـم
لا أقـولُ اهجـرْ غـداً أصنـامكـا كـافـرٌ أنـت فخـذْ زُنَّـاركـا
يـا أمينـاً لتـراث الأوَّليـنْ ! لا تـدعْ نهـجَ الجـدود الأقـدَمين
بـاجتمـاعِ الشَّمـل تحيـا الأمَّـة وكـذاك الكُفـر فيـه وَحـدة
لـم يكمَّـل فيـك حتـى كفـرُكـا ليـس أهـلاً لفـؤاد صـدرُكـا
إنَّ إبـراهيـم فينـا هُجِـرا وبَعُـدتُـمْ أنتـمُ عـن آزرا[1]
قيسُنـا مـا هـام خلـف المحمَـل فـي جنـونِ العِشْـق لمَّـا يكمُـلِ
إنَّ شمـع الـذات فينـا لانطفـاءْ كيـف يُجدينـا طـوافٌ فـي السمـاءْ

* * *

جـاش نهـر الجنـج يـومـاً جائـلا فـي سفـوح مـن هِمـالا قـائـلا :
حـامـلاً مـن بَـرَدٍ أوقـارَه ! عـاقـداً مـن أبهـرِ زُنَّـاره ![2]

---

(١) يدعو هذا الشيخ إلى استمساك البرهمي بدينه وكماله فيه ما دام برهمياً . ويرى الكمال ولو في الكفر خيراً من النقص . ثم يقول : إنَّ الموحدين لا يسيرون على نهج إبراهيم الذي كسر الأصنام ، والوثنيين لا يتبعون آزر الذي نحتها .

(٢) الخطاب من نهر الجنج لجبل همالا ، وخلاصة المحاورة : أن النهر يعيِّر الجبل بالعجز عن المسير فيجيب الجبل بأن البقاء في ثبات الكائن في مقامه ، وأنَّ الفناء في زواله عن مقوماته . وهذه المحاورة تصوِّر رأي إقبال في إثبات الإنسان ذاته وتقويتها، وأنَّ نفيها ، أو الغفلة عنها يودي بها .

صاغك الحقُّ نجيَّاً للسَّماء ... وحمى رجلَك سيراً في العراء

قُيِّدت رجلُك عن سيرٍ فما ... هيبةٌ فيك ورأسٌ قد سما ؟

إنما العيش مسيرٌ وُصلا ... وحياةُ الموْج في أن يجفِلا

غضِبَ الطَّودُ لقول النَّهَرِ ... فرمت أنفاسُه بالشررِ

قال : يا مرآة وجهي ! ويلكا ... كم حوى صدري بخاراً مثلَكا

إنَّ هذا السَّيْرَ فيهِ الحَيْنُ لكْ ... منْ يزُل عنْ نفسه يوماً هلكْ

بمقَامٍ لكَ هلاَّ تأبَه ! ... أفخارٌ بالرَّدى يا أبلهُ !

يا وليد الفَلك المرتفعِ ! ... صِرْتَ دونَ السَّاحل المتَّضِعِ

قد وهبتَ النَّفس بحراً غاصبا ... وأبحت الرُّوح لصاً سالبا

كُنْ كوردٍ في رُباه عاكفِ ... لا تَرُم للريح كفَّ القاطف[1]

إنَّما العيشُ نماءٌ في المكانْ ... وبروضِ الذَّات قطفُ الأقحوانْ

في دهورٍ لم تُزحَزحْ أرجُلي ... أتُراني زائلاً عن منزلي ؟

وإلى الأفلاك قدِّي يصعد ... فعلى سفحي الثُّريا ترقد

أنت تَفنى في خِضَمٍّ خِضرِمِ ... وقلالي مسجدٌ للأنجمِ

وبعيني لاح سرُّ الفلكِ ... وبسمعي طيرانُ المَلكِ

وبنارِ الجدِّ طولَ الدَّهر ... قد حوى صدري صنوفَ الجوْهرِ

« صخرٌ قلبي وناري في الصَّخر ... ليس للماء إلى ناري ممرّ[2] »

قطرةً إن كنت فاحفظ نفسكا ... جاهد الأمواج واجنُب يأسكا

وابتغِ النُّور وكنْ درّاً يُضيءْ ... ثم كن قُرْطاً على وجهٍ وضيء

أو فزد واعلُ سحاباً ممطرا ... يُشعل البرق ويهمي أبحرا[3]

---

(١) الريح : الرائحة . لا ترم أن يقطفك الناس لتفوح رائحتك .

(٢) اقتباس من جلال الدين الرومي مع تغيير في اللفظ .

(٣) إنْ كنت ماءً فاحفظ نفسك في البحر حتى تصير لؤلؤة . أو كن سحاباً ذا برقٍ ورعدٍ يجتدي منك البحر ماءه .

يبسط البحرُ لجدواك يدا ... شاكياً منْ فاقةٍ يرجو النَّدى
فهو في فيضك دون الموجة ... وهو في جدواكَ بادي الذِّلَّة

* * *

في بيان أنَّ حياة المسلم لإعلاء كلمة الله
وإن كان الباعث على الجهاد « جوع الأرض »
فهو حرامٌ في شريعة الإسلام

صبغةَ الله أنِرْ في قلبكا ... والهوى والصِّيتَ دَعْ في حبِّكا
إنَّما المسلم بالحبِّ قهر ... مسلمٌ لا حبَّ فيه قد كفر
غضَّ بالحقِّ ، وبالحق نظَر ... وله في الحقِّ نومٌ وسَهَر
في رضاه لرضا الحقِّ فناء ... كيف يرضى النَّاس هذا الادِّعاء ؟[1]
في رُبى التَّوحيد أرسى العَمدا ... وعلى الناس جميعاً شهدا
وعليه يشهدُ الدَّاعي الأمين ... شاهدٌ أصدقُ كلّ الشَّاهدين
فدعِ القال إلى الحال الجلي ... وأضىءْ بالحقِّ ليلَ العملِ
وكن الدرويش في زيِّ الأميرْ ... ذاكراً لله يقظانَ الضَّمير
واقصِدَنَّ الحقَّ في كل الفِعالْ ... يسطَعَنْ فيك من الحقِّ جلالْ
خيرُ الحرب إذا رمتَ الإلٰه ... شرُّ السِّلمُ إذا رُمتَ سواه
نحن إن لم يُعلِ حقّاً سيفُنا ... اكتسى في الحرب عاراً صفُّنا

* * *

---

(١) الحق : الله تعالى . يبلغ المؤمن درجة يفنى فيها رضا الحق في رضاه . أي يكون رضاء رضا الحق . والشطر الثاني مأخوذ من جلال الدين الرومي .

شيخنا الشيخ (ميانميرُ) الوليّ ... منْ سَناهُ كلُّ سِرٍّ ينجلي[1]
كان ثَبْتاً في طريق المصطفى ... مِزْهَر العِشْقِ بحقٍّ عَزَفا
قبرُه الإيمان في أوطاننا ... مشعلُ النُّور على بلداننا
سجدَ النَّجمُ على أعتابه ... كان مَلْكُ الهند من طُلاّبه
غرس المَلْكُ هواه في الفؤادْ ... طالباً في حرصه فتح البلادْ
بالهوَى أضرَم ناراً قلبَهُ ... مُقرئاً « هل من مزيد » عَضبَه[2]
دوّخت أجنادُه كلَّ وطنْ ... وتوالى الفتحُ في أرض الدَّكَن
دَيدن المسلم للحقِّ التجاء ... يُحكم التدبيرَ منه بالدُّعاء
قصدَ الشيخَ العليَّ القَدْرِ ... راجياً منه دعاءَ الظَّفر
صمتَ الشيخُ لقول المالك ... وصغَى كلُّ مريدٍ سالك
قطع الصَّمتَ مريدٌ أقدما ... أمسكت إحدى يديه درهما
قال : مولايَ ! اقبل النذرَ الحقيرْ ... أنتَ للمسكين بالحقِّ نصيرْ
عَرَقي من كلِّ عضو قد همى ... قبل أن تمسك كفي الدِّرهما
قال : سلطاني به أولى يدا ... سائلٌ في حلة المُلك بدا[3]

---

(١) القصة التي نظمها الشاعر في هذا الفصل كانت بين السلطان شاهجهان والشيخ ميانمير وشاهجهان أحد سلاطين الدولة الإسلامية المغولية في الهند . ولا تزال آثاره في العمارة زينة الهند كلها ومفخرتها . وهو باني المزار ذائع الصيت « تاج محل » في مدينة أجرا. شاده لزوجه ممتاز محل . حكم (١٠٣٧ ـ ١٠٦٨هـ) ومير محمد المعروف بميانمير هو أحد مشايخ الطريقة القادرية في الهند ولد في السند سنة ٩٣٨هـ . وأخذ عن شيخه الشيخ محمد خضر ، ثم انتقل إلى لاهور ، فأخذ عن مشايخها . وقد عظمت مكانته ، فكان يزوره السلطان جهانجير ثم ابنه شاهجهان صاحب القصة . وتلمذ له عبد الحكيم السيالكوتي المعروف في علم الكلام . توفي سنة ١٠٤٥هـ ومزاره مقصد الزائرين في لاهور اليوم .

(٢) هل من مزيدٍ جاءت في الأصل بلفظها العربي . يعني جعل سيفه يقول : هل من مزيد .

(٣) قال الشيخ : سلطاني . . إلخ .

مَلْكنا أفقر من كلِّ البشرْ ... وعلى الشمس تولَّى والقمر
جوعُه بالنَّار يُصلي العالمين ... عينه فوق سماط الآخَرين
سيفُه بالقَحْط والموت رمى ... نفسَه يَبني ويُردي عالَما
ضجت الأقوامُ من فقر لديهْ ... شقي المسكينُ من جوع يديه
حُكْمُه في النَّاس شرٌّ وأشَر ... قطَعَ الطُّرْقَ على رَكْب البشَرْ
بخداعِ النَّفس والجهل دعا ... نهبَه فتحاً . وبئس المدَّعَى
عسكرُ الملك وما قد أسروا ... بسيوف الجوع منه شَذَرُ
غصَّةُ السائل جوع السائل ... وخَرابُ المُلك جوعُ الدائل
منْ لغير الله سلَّ المُغْمَدا ... سيفَه في صَدْرِهِ قد أغمَدا

***

نصيحة مير نجاة النقشبندي المعروف بباباي صحرائي
(الأب الصَّحراوي) التي كتبها لمسلمي الهند

أنتَ كالوردِ مِنَ الأرض بدا ... منْ ضمير الذَّات نِلتَ المولدا
لا تَعَدَّ الذَّاتَ واخلُد أبدا ... قطرةً كُنْ واشرب البحر صدى[1]
إنَّما الرِّبحُ بهذي الثروةِ ... والغِنى في حفظِ هذي السلعةِ
أنتَ موجودٌ وفي خوف العَدَمْ ... يا أسيرَ الوهم أخطأتَ الفَهَم
عنديَ الخُبْر بأوتارِ الحياهْ ... سأُنبِّيكَ بأسرارِ الحياهْ :
غوصةٌ في النفس غوصَ الدرَّةِ ... وظهورٌ بعد هذي الخلوة
هي جمعٌ منْ رمادٍ شرَرا ... واشتعالٌ بَعدُ يُعشي البصرا
هي حولَ الذَّات طوفٌ فاعلَمِ ... واجعلَنْ نَفْسَكَ بيتَ الحرَم
حَلِّقَنْ في اللَّوح عن جذب التراب ... منْ هُوِيٍّ لا تخف ، مثل العقابْ

---

(١) كن قطرة لا ترضى بغاية فهي تشرب البحر في ظمئها . الصدى : الظمأ .

أنتَ إنْ لم تكُ طيراً ويحكا ... فعن الغار فابعد عُشَّكا[1]

أيها الجاهد في كسب العلومْ ... عن إمام الرُّوم خذ نصحَ الحكيم

« إنَّما العلمُ لدى الجسم شفاء ... وهو في القلب دواءٌ وشفاء »[2]

قصَّةُ الرومي تقضي بالعجب : ... كان فَيضاً من علوم في حلَبْ

وعلى رجليهِ للعقلِ قيود ... في ظلام العقل بالفُلك يَرُود

هو موسى دون طورٍ يُشرق ... ما درى ما العشقُ أو منْ يعشقُ

وعن الإشراق والشكِّ حكى ... ومن الحكمة درّاً سلكا[3]

وعن المَشَّاء[4] حلَّ العقدا ... كلُّ خافٍ من سناه قد بدا

وحوالَيه صِوانُ الكتُبِ ... وعلى فيه بيانُ الكتُب

* * *

أمَّ يوماً مكتبَ المُلا جلالْ ... شيخُ تبريز بأمرٍ من كمال[5]

قال : ماذا القالُ والقيلُ وما ... منْ قياسٍ ودليلٍ أوْهَما

صرخَ الروميُّ : مهلاً يا جهول! ... لا تهوِّن منْ مقالاتِ العقول

اخرُجنْ منْ مكتبي يا أبلهُ ! ... قالَنا والقيلَ أنَّى تفقه ؟

قالُنا أرفعُ ممَّا تعقل ... سُرُج الإدراكِ منه تُشعَل

نارُ شمسِ الدين زادت حُرَقا ... فرمى منْ روحهِ ما أحرقا

فاستطارَ البرقُ منْ نظْرتِهِ ... وتلظَّى التُّرْبُ من شُعلتِهِ

---

(١) إشارة إلى قصة الغار والحمامة التي عششت عليه . يعني إن لم تكن ذا همةٍ تطير عن الأرض فلا تطلب المنزلة الرفيعة .

(٢) بيت من جلال الدين الرومي .

(٣) سلك الدر : نظمه في السلك .

(٤) أي : الحكماء المشائين .

(٥) شيخ تبريز شمس الدين التبريزي الصوفي الذي أرشد جلال الدين الرومي إلى التصوف ، وكمال هو : كمال الدين الجنيدي شيخ شمس الدين .

فـإذا الأدراكُ مـنْ نـارِ القلـوب ... محـرقٌ والكتْـبُ منهـا فـي لهيـبْ
جهـل الـرومـيُّ عشقـاً أُضـرِمـا ... مـا درت أوتـارُه ذا النَّغمـا
قـالَ : هـذي النـارُ مـا قصَّتُهـا ؟ ... أحـرقـت أسفـارَنـا وقـدتُهـا
قال شمسُ الدين يا ذا المسلمُ ! ... ذوقَنـا والحـالَ أنَّـى تعلَـم ؟
حـالُنـا أرفـعُ ممـا تُفكِـرُ ... ولظـانـا الكيميـاءُ الأحمـر[1]

* * *

تجمـع الحكمـةَ زاداً بَـردا ... فسحـاب الفكـر يهمـي بَـردا[2]
مِـنْ هشيـمٍ فيـك أذكِ اللهبـا ... مِـنْ تـرابٍ فيـك أطلِـع شُهُبـا
مـنْ لهيـبِ القلـبِ عِلـمُ الكـامـل ... مقصـدُ الإسـلامِ تـرك الآفـل[3]
صـدَّ إبـراهيـمُ عمَّـا يـأفُـلُ ... فحـوتـه كـالجِنـان الشُّعَـل[4]
قـد نَبَـذتَ الـدِّيـن ظِهـريّـاً ومـا ... تبتغـي بـالـدِّيـن إلا الـدِّرهمـا
أيُّهـا السـاعـي لكُحْـل المُقَـل ... غـافـلاً عمَّـا بـه مـن كَحَـل[5]
مـن فـم التِّنيـنِ فـابـغِ الكـوثـرا ... واسْـألـنْ مـاءَ الحيـاةِ الخنجـرا[6]
حجـرَ الكعبـة مـن بيـت الـوثَـنْ ... التمس والمسكَ في الكلب اطلبن
طفِّـيء العشـقَ بعلـم الحـاضـرِ ... لا تـؤمِّـلْ كـأسَ هـذا الكـافـر

---

(١) انتهت قصة الرومي والتبريزي .
(٢) بردا الأولى فعل ماض ، والثانية : البرد الذي ينزل من السحاب .
(٣) إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل في القرآن الكريم وقوله حينما أفل الكوكب ثم القمر : ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ . وكأن الشاعر تصور الآفل خامداً . فقال : إن علم المسلم من نار القلب . والإسلام ترك ما يأفل ، أي : يخمد .
(٤) إشارةً إلى قصة إلقاء إبراهيم في النار ، وكونها برداً عليه وسلاماً .
(٥) الكحل سواد طبيعي في منابت أشفار العين . يقول الشاعر : أيها الساعي للجمال المصنوع غافلاً عن جماله الطبيعي ، يعني : المسلم المقلد غيره ، الغافل عما عنده .
(٦) يعني : اركب الأهوال وراء ما تبتغي ، واطلب المنفعة عن كلِّ ضار ، واجعل ماء الخنجر أي بريقه ماء الحياة .

قد براني السَّعيُ في كل بعيدْ ... وعرفتُ السِّرَّ في العلم الجديدْ
وحباني سرَّ هذي الجنَّة ... قيِّمُ البستان بعد الخِبْرة
علمُ ذا العصرِ حجابٌ أكبرُ ... يعبد الوُثْنَ وفيها يَتْجر
من حدود الحسِّ لا ينطلقُ ... وله الظاهرُ سجنٌ مُغلَقُ
زلقت رجلاه في سُبْلِ الحياة ... وضعتْ في حلقهِ السَّيفَ يداهْ
كشقيقٍ فيه نارٌ هامدهْ ... شعلةٌ كالطَّلِّ فيه بارده[1]
منْ لهيبِ العِشق تخلو فِطرتُهْ ... في طلابِ الحقِّ تبدو خيبتُه
عِلَلُ العقل لها العشقُ دواءْ ... مبضعُ العِشْق لدى العقل شفاءْ
سَجدَ العالمُ للعشقِ الجليل ... هو محمودٌ لأصنامِ العقول[2]
جامُه منْ نَشْوةِ الرَّاحِ خلا ... ليله عن وَجْد « يا ربِّ » سلا[3]

* * *

سَرْوكَ الباسقُ قد أغفلْته ... كلُّ سَرْوٍ غيرَهُ أكبرتَه[4]
أنت كالنَّاي خلِّي من جواكْ ... بلُحون الناس أعليت صداكْ
تبتغي نفسَك في سوقِ سِواكْ ... وسماطَ النَّاس تجدوهُ يداكْ
مِنْ سراجِ النَّاس نادينا استعر ... أحرقَ المسجدَ مِنْ ديرِ شرزْ
ظَبْيُنا خاف سوادَ الكعبةِ ... فرماهُ صائدٌ في الثُّغرة[5]

---

(١) علم هذا العصر فيه نار كنار الشقائق لا حرارة فيها ، وله بريق كبريق الندى لا نار فيه .
(٢) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب مكسر الأصنام . يعني : أن العشق كمحمود ، والعقول كالأصنام .
(٣) الضمير في هذا البيت يرجع إلى العقل أو علم العصر الحاضر ، ليس في كأسه نشوة . ولا في ليله دعاء « يا رب » وما فيه من وجد .
(٤) يرجع يخاطب المسلم .
(٥) نفر من سواد الكعبة فخرج من الحرم فتمكن منه الصياد .

ورقُ الـوردةِ كـالعَـرفِ انتشَـرْ جـافِـلاً مـن نفسـه! عُـدْ للمقَـرّ[1]

يـا أميـنَ السـرِّ مِـنْ أمِّ الكتـابْ هـل إلـى وحـدة مـاضينـا إيـاب ؟

نحـن حُـرَّاسُ حصـونِ الأمَّـةِ كُفـرنـا تـركُ شعـارِ الملَّـةِ

أكـؤسُ السَّـاقـي أراهـا كِسَـرا حَفْـلُ نُـدْمـان الحجـازِ انتشـرا

تعمـرُ الكعبـةُ مِـن أصنـامِنـا يضحـكُ الكُفْـرُ علـى إسـلامنـا[2]

شيخُنـا بـاع الـدُّمَـى مِلَّتَـهُ جـاعـلاً زُنَّـاره سُبْحتـهُ[3]

شيَّـخَ الشَّيْـخَ بيـاضُ الشَّعَـر وهـو لـلأطفـال مثـلُ السُّخَـر[4]

قلبـهُ بيـتٌ لأصنـامِ هـواهْ فهـو صِفْـرٌ مقفـرٌ مـن « لا إلـه »[5]

يَلبـس الخِـرْقَـةَ مـنْ يُـرخـي الشعَـر آهِ ! للتَّـاجـر بـالـدِّيـن اتَّجَـر

بمـريـديـه أدام السَّفَـرا فـي هُـدَى أمَّتـه مـا فكَّـرا

أعْيُـنٌ عُمْـيٌ حكـاهـا النَّـرجِـسُ وصُـدورٌ مـن قلـوب تُفلِـسُ

عبَّـد الأشيـاخَ فينـا المنصِـبُ حُـرمـةُ الأمَّـة منهـم تَـذْهَـبُ

واعـظٌ عيناه شطـرَ الـوَثـنِ وفتـاوَى تُشتَـرى بـالثَّمـن

وجهَـه للحـان ولَّـى شيخُنـا « يـا رفـاقي بعـدُ مـا تـدبيـرنـا »[6]

* * *

---

(١) يرى إقبال أنَّ الإنسان ينبغي أن يثبت في نفسه وأخلاقه وسننه . ويبعد في مساعيه دون أن ينسى مركزه فهو كالوردة ينتشر عرفها ويلتئم ورقها . فإذا تفرق الورق فنيت .

(٢) نحن مسلمون ولكن في أنفسنا وثنية من عبادة الهوى والخضوع لغيرنا .

(٣) الدُّمى : جمع دمية ، يراد بها الإنكليز وما عندهم من مال ومناصب . . إلخ .

(٤) يعني : أن الشيخ صار شيخاً بابيضاض شعره لا بعلمه وتقواه . والأطفال يسيرون وراءه ساخرين منه . وأحسب الشاعر يعني ضرباً من رجال الطرق في الهند .

(٥) « لا إلـه » اختصار لا إلـه إلا الله حيثما جاءت في شعر إقبال .

(٦) مأخوذ من بيت لحافظ الشيرازي :

شب أز مسجد سوى ميخانه آمد بيرما چيست ياران طريقت بعد أزين تدبيرما

الوقت سيف[1]

نضَّـــر اللهُ تـــرابَ الشَّـــافعـــيّ ... سَحَـــرَ الألبـــاب هـــذا الألمعـــيّ
فِكْـــرُهُ قـــد صـــاد نجمـــاً لامعـــا ... حيـن سمَّـى الـوقـت سيفـاً قـاطعـا
فـــاتَ خـــوفـــاً ورجـــاءً صـــاحبُـــه ... كفُّـــه كـــفُّ كليـــمٍ ، ضـــاربُـــه
تُغـــدق الصَّخـــرةُ مـــنْ ضـــربتـــه ... ويَغيـــض البحـــرُ مـــن صـــوْلتـــه
كـانَ هـذا السَّيـفُ في كـفِّ الكَليـمْ ... فشـأ التَّـدْبيـرَ بـالعـزمِ الصَّميـم
شـــقَّ صـــدرَ البحـــر لمـــعُ القبَـــس ... صيَّـــر القلـــزُم مثـــل اليَبَـــس
وبهـــذا السَّيـــفِ يـــومَ الخطَـــر ... زَلْـــزَلَـــتْ خيبـرَ كـفُّ الحيـدر[2]

* * *

ممكـــنٌ إبصـــارُ دورِ الفلَـــك ... وتـــوالـــي نُـــوره والحلَـــكِ
يـا أُسيـرَ اليـوم والأمـس انظـرا[3] ... انظـرنْ فـي القلـب كَـونـاً سُتِـرا
أنـتَ فـي النفـس بـذرتَ البـاطـلا ... وحسبـتَ الـوقْـتَ خطّـاً طـائـلا
وذرعـتَ الـوقـت طـولًا ، للشَّقـاءْ ... بـــذراعٍ مـــنْ صَبـــاح ومســـاءْ
وجعلـــتَ الخيـــطَ زُنَّـــاراً لكـــا ... صِـرتَ لـلأصنـام نـدّاً ويلكـا !
صِـرْتَ يـا إكسيـرُ تُـربـاً سـافـلا ... يـا وليـدَ الحـقِّ صِـرْتَ البـاطـلا
اقطـــع الـــزنَّـــار حـــرّاً لا تَهُـــنْ ... شمعـةً فـي محفِـل الأحـرار كُـنْ
إيـه يـا غـافـلُ عـن أصـل الـزَّمـانْ ... كيـف تـدري مـا خلـودُ الحيـوان[4]
يـا أسيـر الصُّبـح والمُسـى اعقِلَـنْ ... « لي مع الله » بها الوقت اعرفَنْ[5]

---

(١) الوقت سيف من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه .
(٢) حيدر : علي بن أبي طالب .
(٣) انظرا : فعل الأمر مع نون التوكيد الخفيفة .
(٤) الحيوان : الحياة .
(٥) إشارة إلى الأثر : لي مع الله وقت لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، ويريد=

كلُّ ما يظهرُ ، منْ تِسياره ... والحياةُ السرُّ منْ أسراره[1]
ما مِنَ الشَّمس أراه يوجَد ... إنَّها تفنىٰ وهذا يخلُد
وبه الشَّمسُ أضاءت والقمر ... وبه في العيشِ ما ساء وسرّ
قد بسطْتَ الوقت بسطاً كالمكان ... وفَرَقْتَ اليومَ من أمسِ الزَّمانْ
يا شذاً قد فرَّ منْ بستانه ... وحبيسَ السِّجنْ منْ بنيانه[2]
وقتُنا بين الحنايا سافرُ ... ليسَ فيه أوَّلٌ أو آخِر
الحياةُ الدَّهر يا مَنْ عرفا ... « لا تسبوا الدَّهر » قول المصطفى

* * *

نكتةً كالدُّرِّ خذها رائقة ... بين حرٍّ ورقيقٍ فارقة :
حيرةُ العبد مسيرُ الزَّمنِ ... حيرةُ الأزمانِ قلبُ المؤمن
ينسج العبدُ عليه كفَنا ... من صباحٍ ومساءٍ مُذْعِنا
وترى الحرَّ من الطين نجا ... نفسه حول الليالي نسجا
قفصُ العبدِ صباحٌ ومساءْ ... يُحرَم التحليقَ في جوِّ السماءْ
وبصَدْرِ الحرِّ ثار النفَسُ ... طائر الأيام فيهِ يُحبَس
فطرة العبد حُصولُ الحاصلِ ... ليس في تفكيره مِن طائلِ
في مقامٍ منْ همودٍ راكدُ ... نَوْحُه ليلاً وصبحاً واحدُ
ومن الحرِّ جديدُ الخلقة ... كلَّ حينٍ ، وحديثُ النَّغمة
قيَّد العبدَ صباح ومساء ... وثوى في فمه لفظُ القضاءْ[3]

= الشاعر أن يقول إن الوقت حال الإنسان ، لا ساعات الفلك .

(١) الضمير يرجع إلى الوقت .

(٢) يقول الشاعر : إنك أحياناً كالرائحة لا تثبت في بستانها ، وأحياناً سجين في سجن بنته يد تسير مع ساعات الزمان ، وتحبس نفسك فيها والوقت هو أنت .

(٣) لفظ القضاء والقدر ، يعتلُّ به ، ويحيل الأمور عليه .

وأرى الحـــرَّ مُشيـــراً للقَـــدَرْ صـوَّرت كفَّـاه أحـداثَ الـدَّهَـر[1]
عنـده المـاضـي التقَـى والقـابـل عـاجـلٌ بيـن يـديـهِ الآجـل[2]

* * *

ضـاقَ عـن معنـايَ حـرفٌ وصـدَى عجـزَ الإدراكُ فـي هـذا المـدى
قلـتُ ، واللفـظُ مـن المعنـى خَجِـلْ وشكـا المعنـى مـنَ اللَّفـظ المَجِـلْ
مـات معنـىً فـي حـروف يُحبَـس نـارَه يُخمـدُ منـك النفَـسُ
سـرُّ غيـبٍ وحضـورٍ فـي القلـوبْ رمـزُ وقـتٍ ومـرورٍ في القلـوبْ[3]
إنَّ للـوقـتِ لَلَحنـاً صـامتـا ولـه فـي القلـب سـرّاً خـافتـا[4]
أيـنَ أيـامٌ بهـا سيـفُ الـدهَـر صـرَّفتْـه فـي أيـادينـا القُـدَر ![5]
قد غرسنا الدِّين في أرض القلوب وجلـونـا الحـقَّ مـن ستـر الغيـوبْ
ومِـنَ الـدُّنيـا حلَلنـا العُقَـدا واستنـار التُّـربُ منّـا سُجَّـدا
مِـنْ دنـانِ الحـقِّ صـرَّفنـا الـرَّحيـق وهَـدَمْنـا حـانـةَ العصـرِ العتيـقْ
يـا مـديـرَ الـرَّاح فـي أضـوائهـا ومُـذيـبَ الكـأسِ مـن لألائهـا[6]
مـن غـرورٍ واختيـالٍ تَسْكَـرُ ومـن الفقـر لـدينـا تَسْخَـرُ !
كـأسُنـا كـانـتْ سِـراجَ المحفِـل صَـدْرُنـا كـانَ لقلـبِ مُشعَـلِ
إنَّ هـذا العصـرَ مِـنْ آثـارنـا مـن عَجـاجٍ ثـارَ فـي تسيـارنـا

---

(١) عزم الحر من القضاء ، ويقول الشاعر في هذا : إن القضاء يستشير الحرَّ فيما يفعل .
(٢) لا يعتل بأن شيئاً قد فات وقته وأن شيئاً لم يحن وقته . بل عزمه يطوع كل وقت لما يريد .
(٣) القافية مردوفة والروي في حضور ومرور .
(٤) أبيات إقبال هذه في الوقت وفي التفريق بين العبيد والأحرار من أروع ما عرفته الفلسفة والشعر .
(٥) في هذا البيت والأبيات بعده يذكر إقبال ماضي المسلمين .
(٦) في هذا البيت وأبيات تليه يخاطب الشاعر أهل الغرب المسيطرين على العالم .

روضةُ الحقِّ ارتوت مِنْ دمنا ... عزَّ أهلُ الحقِّ في الدنيا بنا
كبَّر العالَمُ من تكبيرنا ... كعَباتٍ شادَ مِنْ تعميرنا
« اقرأ » الحقُّ لنا قَدْ علَّما ... بيدينا رزقَهُ قد قسَّما[1]
لا تهوِّنْ قَدْرَ حرٍّ أعدَما ... أن تَرى التَّاج مضى والخاتما
إن نكنْ عندك أصحابَ الخسارْ ... قُدماء الفكر أحلافَ الصَّغارْ
فلدينا عزَّةٌ مِنْ « لا إلٰه » ... نحن لِلْكَونينِ حُرَّاسٌ أبَاهْ
قَدْ تركنا غمَّ أمسٍ وغد ... ووفينا لحبيبٍ أوْحَدِ
نحنُ ورَّاثُ هداةٍ للبشرْ ... نحنُ عند الحقِّ سرٌّ مدَّخر
لا تزال الشمس تُبدي نورنا ... غيمُنا فيهِ بروقٌ وسَنا
ذاتُنا المرآة للحقِّ ، اعلَمِ ... آيةُ الحقِّ وجودُ المسلمِ

* * *

دعاء[2]

أنت في الكَوْنِ كروحٍ مُستسِر ... روحُنا أنت ، ومنَّا تَستتر
منكَ فيه نغمةٌ عُودُ الحياهْ ... في هواكَ ، الموتُ محسودُ الحياهْ
عُدْ فسكِّنْ ذي القلوبَ البائسهْ ... عُدْ فعمِّر ذي الصدورَ اليائسهْ
عُدْ فكلِّفنَا الفِعال الماجدا ... ألْهبنَّ العِشق فينا الخامدا
إنَّنا نشكو تصاريفَ القضاءْ ... أنت تُغلي السِّعْرَ والأيدي خَلاء[3]
عن فقيرٍ لا تحجِّب ذا الجمال ... عشقَ سَلْمانَ امنحنَّا وبلالْ
عَيْنَ سُهْدٍ لفؤادٍ قَلِق ... امنحنَّا واضْطرابَ الزِّئبَق

---

(١) يشير إلى أول سورة في القرآن : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ .
(٢) الخطاب لله تعالى .
(٣) يعني تكلفنا واجبات عظيمة وليس في يدنا اليوم أسبابها .

آيــةً أظهِــر مــن الآي المبيــن ... لنَـرى أعنـاق قـومٍ خـاضعيـن[1]

أظهِـر البـركـانَ مِـنْ أعـوادنـا ... وامـسحُ غيـرَ الله فـي نيـراننـا

كفُّنـا ألقـت بخيـط الـوَحْـدَة ... كم ترى في أمرنا مِنْ عُقدة؟[2]

قَـدْ مضينـا كنجـومٍ حـائـرهْ ... إخـوةٌ لكـنْ وجـوهٌ نـافـرهْ

انظمَـنْ فـي السِّلـك هـذا الـورقـا ... جَـدِّدَنْ سنَّـة حُـبٍّ أخلقـا[3]

ابعثنَّـا مثـل مـا كنَّـا لكـا ... ائتمـن فيمـا تـرى أحبـابَكـا

منـزلَ التَّسليـم أبلـغْ رَكْبَنـا ... عـزمَ إبـراهيـم يسِّـره لنـا

علِّمـنَّ العشـق مـنْ أفعـال « لا » ... رمـزَ إلا الله علِّـم غـافـلا[4]

* * *

أنـا كـالشمـع لغيـري أُحْـرَق ... وبـدمعـي كـلُّ حفـلٍ يَشْـرَقُ

رَبِّ ! هذا الدمع نورٌ في القلوبْ ... ذو هَيـاجٍ واضطـرابٍ ونحيـبْ

أبـذرُ الـدَّمـعَ فتنمـو شُعَـلُ ... نـارُ شِقْـر الـرَّوض منهـا تَنصِـل[5]

أمـسِ فـي قلبـي ، وعينـاي الغـدُ ... أنـا فـي الجمـع فـريـدٌ مُـوحـد[6]

« ظـنَّ كـلٌّ أننـي نعـم السميـرْ ... ليس يدري أيُّ سرٍّ في الضمير »[7]

أيـن يـا ربَّـاه فـي الـدُّنيـا النـديـم ... نخـلُ سيناءَ أنـا ، أيـن الكليـم ؟

---

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [الشعراء : ٤].

(٢) يعني : أضاع المسلمين خيط الاتحاد ، فتعقدت أمورهم .

(٣) الورق : ورق الكتاب ، والسلك : الخيط الذي يجمع به الورق .

(٤) « لا » : يريد النفي في كلمة التوحيد ، نفي ما سوى الله ، و« إلا الله » هي الإثبات في هذه الكلمة .

(٥) الشقر : شقائق النعمان . وهي زهر أحمر يضرب به المثل في الاحتراق ، ولكنَّ الشاعر يقول إنَّ هذه النار الباردة تمحوها نار دموعي .

(٦) قلبه متصل بذكرى الماضي ، ولكن عينيه تريان المستقبل ، وتطمحان إليه . وهذا معنى يكرره إقبال .

(٧) البيت من فاتحة المثنوي لجلال الدين الرومي في وصف الناي .

ظـالـمٌ نفسـي فَكَـمْ عنَّيتُهـا ... شُعـلاً فـي صَـدْرِهـا أذكيتُهـا
شُعـلاً للحـسِّ تـذرو مـا بـه ... وتَشُـبُّ النَّـارُ فـي أثـوابـه[1]
وبهـا العقـلُ جنـونـاً عُلِّمـا ... وبهـا أُحـرِق مـا قـد عُلِمـا[2]
قد علَتْ من حرِّها شمسُ السماءْ ... حـولهـا لِلْبَـرقِ طـوْفٌ فـي الفضـاءْ
كـلُّ عِـرْق فـيَّ نـاراً يقطـرُ ... شُعَـلاً يَنبُـتُ فـيَّ الشَّعَـرُ
بلبلـي يلفـظ هـذا الشـررا ... فتـراه نَغَمـا مستعـرا
صَـدْرُ عصـري مـا بقلـبٍ يـوهـن ... نَـوْحُ قيسٍ حينَ يخلو المَحْمِل[3]
يخفـق الشَّمـعُ وحيـداً وَيْلَـهُ ! ... فـي فَـراشٍ لا يـرى أهـلاً لـه[4]
كـم أرجِّـي مُسعـداً لـي فـي البشـر ... ونجيَّـاً كـم أرجِّـي فـي الـدَّهَـرْ

* * *

يـا مـن الأنجـمُ منـه تستنيـر ! ... أرجِعـنْ نـارَكَ مـنْ روحـي الكسيـر
اسلُبَـنْ نفسـيَ مـا أودعتَهـا ... عَطِّلـنْ مِـنْ نـورهـا مـرآتَهـا
أو فهـبْ لـي وجـهَ خـلٍّ لَبِـقِ ... هـوَ مـرآةٌ لعِشْـقٍ مُحـرقِ

* * *

يَخفُـقُ المـوجُ بمـوجٍ فـي العُبَـاب ... لا يسيـرُ المـوج إلّا فـي صِحـاب
ومَـعَ الكـوكـبِ يَسـري الكـوكـبُ ... وعلـى الأقمـارِ يحنـو الغَيْهَـبُ
ومـعَ اللَّيْـلِ نهـارٌ أبـدا ... ومسيـرُ اليـومِ يقتـادُ غـدا
نهـراً ، أُبصـرُ ، يَفنَـى فـي نَهَـر ... ونسيـمَ الـرَّوض فـي عَـرْفِ الـزَّهَـرْ

---

(١) نار تحرق المحسوسات ، وتنفذ إلى البواطن .

(٢) هذه النار نار العشق تخرج بالعقل عن حدوده الضيقة . وتحرق ما لقنه الناس من علم . انظر الكلام عن العشق والعقل في مقدمة ضرب الكليم .

(٣) يبكي إقبال لخلوّ عصره من القلب كما يبكي المجنون لخلو المحمل من ليلى .

(٤) يعني : أنه كالشمع ، لا يجد فراشاً أهلاً لناره . ليس له أصحاب ، أو تلاميذ يفقهون عنه ما يقول .

رُبّ حـــانٍ آهـــلٍ مـــنْ شَـــربـــه ... راقـــصَ المجنـــونُ مجنـــونـــاً بـــه
أنـــت يـــا واحـــدُ لا شبـــهَ لكـــا ... عـــالَمـــاً أنشـــأتـــهُ مـــنْ أجلكـــا
وأنـــا مثـــلُ شقيقـــاتِ الفَـــلا ... مُفْـرِدٌ ، فـي بُهـرَة الجمـع خَـلا[1]
هَـــبْ نجيًّـــاً يـــا ولـــيَّ النِّعمـــة ... مَحـرمـاً يُـدرك مـا فـي فطـرتـي
هَـــب نجيّـــاً لَقِنـــاً ذا جنَّـــة ... ليسَ بـالـدُّنيـا لـه مِـنْ صلـة[2]
رُوحَـــه أودِع مِـــنْ أنَّـــاتيـــهْ ... وأرى فـــي قلبـــه مـــرآتيَـــه
وأســـوِّيـــه بطينـــي مُحكمـــا ... وأُرَى آزرَه والصَّنمـــــــا[3]

* * *

---

(١) الشقيقات : جمع شقيقة واحدة الشقائق التي تسمى شقائق النعمان . هو وحيد وإن كان جماعة .

(٢) يريد إقبال نجياً مجّنوناً . والجنون في لغة إقبال الهيام والإقدام إلى غير حدٍّ .

(٣) يكون له ناحتاً كآزر ويكون صنماً له يتوجه إليه توجه العابد إلى الصنم .

القسم الثاني

رُموز نفي الذَّات

(أسرار بيخودي)

دیکھ آ کر کوچۂ چاکِ گریباں میں کبھی
قیس تُو، لیلا بھی تُو، صحرا بھی تُو، محمل بھی تُو

٢ ـ رموز بيخودي (أسرار نفي الذَّات)
باللغة الفارسيَّة

هذه المقالة الفلسفية المنظومة باللُّغة الفارسيَّة نشرها محمد إقبال عام ١٩١٨م وهي من حيث الاسم تبدو أنها ضد الكتاب الأول ، لكنَّها في الحقيقة تفسر ، وتبيِّن نفس النظرية ، وتعتبر التتمة اللاَّزمة له ، وقد طبعت أحياناً القصيدتان في مجلدٍ واحدٍ بعنوان « أسرار ورموز » هنا يكمل محمد إقبال فلسفته بالتأليف بين الفرد والقوى أو الذات الكاملة وبين الجماعات الَّتي تعيش فيها .

وأما الموضوعات الرئيسية فهي علاقة الفرد بالمجتمع ، والإنسانية ، والطبيعة الاجتماعية المثالية ، والمبادىء الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة .

محتوى الديوان

يبدأ الشاعر المنظومة بتمهيد في ارتباط الفرد والأمَّة ، ثم يعقد الفصول التالية :

١ ـ الأمَّة تنشأ من اختلاط الأفراد ، وكمال تربيتها بالنبوَّة .

٢ ـ أركان الأمة الإسلاميَّة .

أ ـ التوحيد : ويستطرد في بيان التوحيد إلى فصول أخرى ، كما يعقد فصولاً أخرى للتمثيل .

ب ـ الرسالة : وفي هذا العنوان فصول أخرى منها أن مقصد الرسالة المحمدية الحرية ، والمساواة ، والأخوة بين بني آدم ، ويقصُّ قصصاً شتَّى في

هذا الصَّدد . وأن الأمة المحمَّدية قائمة على التوحيد ، والرسالة ، فلا يحدُّها مكان ، وأنَّ الوطن ليس أساس الأمَّة ، وأنَّ الأمة المحمدية لا يحدها زمان ، ودوامها موعود ، وأنَّ نظام الأمة لا يكون بغير القانون ، وقانون أمَّة محمد القرآن ، وأنَّ نجاح الأمة باتباع الشريعة الإلهية ، وأن حسن سيرة الأمة بالتأدُّب بالآداب المحمَّدية .

٣ ـ حياة الأمة تقتضي مركزاً محسوساً ، ومركز الأمة الإسلاميَّة الحرم .

٤ ـ الاجتماع الحقيقي لا يكون إلا بقصدٍ يقصد إليه ، ومقصد الأمَّة المحمدية حفظ التوحيد ، ونشره .

٥ ـ توسيع حياة الأمَّة بتسخير قوى العالم . وكمال حياة الأمَّة أن تحسَّ ذاتها كما يحسُّ الفرد ، وينشأ هذا ، ويكمل بحفظ سنن الأمَّة .

٦ ـ بقاء النوع بالأمومة . وحفظ الأمومة واحترامها من قواعد الإسلام .

٧ ـ السيدة فاطمة الزهراء أسوةٌ كاملةٌ لنساء الإسلام .

٨ ـ خطاب إلى المسلمات .

٩ ـ خلاصة مطالب المنظومة في تفسير سورة الإخلاص .

١٠ ـ مناجاة المصنف الرَّسول الَّذي بُعث رحمةً للعالمين .

ويبيِّن محمد إقبال في هذه المنظومة فكرة أنَّ « الوطن ليس أساس الأمَّة » فيقول : إنَّ العصبيات الوطنية قطعت أرحام الأمم ، ويبيِّن كيف هجر النَّصارى دين عيسى وتقطع أمرهم بينهم . . . كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون .

ويذكر ميكافيلي الإيطالي ، وأثره في سياسة أوربة إلى أن يقول :

جعل الملك إلهاً دينه ... كلُّ قبحٍ ناله تحسينه
وزن الحقَّ بربع وجدى ... ولدى الملك خنوعاً مسجدا

صيَّـر الحيلـة فنَّـاً محكمـا فـزهـا البـاطـل مـما أعلمـا[1]

ويخاطب المرأة المسلمة :

احـــذري فتنـــة عصـــرٍ مهلـــك وإلـــى صـــدركِ ضمِّـــي وُلْـــدكِ
بَعُـــدَتْ عـــن عشّهـــا فـــي خطـــرِ هـــــذه الأفـــــراخ ، لا تَطِـــــرِ
فيـــك تسمـــو للمعـــالـــي فطـــرةُ فـــاتبعـــي الـــزهـــراءَ ، نعـــمَ الأســـوةُ
عـــلَّ غصنـــاً منـــكِ يـــأتـــي بِحُسيـــن فتـــرى النضـــرَةَ رَوْضَـــات ذَوَيْـــن

* * *

(١) إقبال ـ للدكتور عبد الوهاب عزام ص١٣٧ .

جـدْ بنَفْـسِ الـذَّاتِ . لا تهـابْ
اجْتَهدْ ، واللهُ يَهْديكَ الصَّوابْ

(جلال الدِّين الرُّومي)

تمهيد

مهداةٌ إلى الأمَّة الإسلاميَّة

إيه يا مُنكراً أحاديثَ عشقي ... ليس بي حُرقةٌ تكون بغير عُرفي[1]

ختمَ اللهُ إليكِ الأمما ... بكِ حقّاً كلَّ بَدءٍ خُتما

كم تقيٍّ فيكِ كالرسْل مُنيبْ ... وجريحِ القلب رفّاء القلوب

لكِ طرفٌ بالنَّصارى سُحِرا ... وعن الكَعبة أبعْدتِ الشُّرى[2]

يا منِ الأفلاكُ مِنْ هَبوتِها ... « منْ رنا الكونُ إلى طلعتها »[3]

سرتِ كالموج دؤوب السَّفرِ ... « أين تبغين مُرادَ النَّظر ؟ »[4]

كفَراشٍ في لظى الحبِّ اصبري ... وخذي عُشَّكِ بين الشررِ

أحْكمي العشق بروح قدْ صفا ... جدِّدي العهد بحبِّ المصطفى

صحبةَ النَّصرانِ قلبي هجرا ... حينما وجهكِ عندي أسفرا

ورفيقي رهنُ حسنِ الآخرين ... واصف الطرَّة منهم والجبينْ

---

(١) ترجمة بيتٍ لعرفي الشيرازي صدَّر به الشاعر هذه التقدمة . ومعناه : لا يستطيع أحدٌ إنكار ما أصف من آلام عشقي . فإنه إن شعر بالآلام التي أصفها فهذه الآلام لا تكون بي ولكن به هو . إنني أصف شيئاً لا يمكن أن يكون في قلب غيري ، فكيف يستطيع إنكاره ؟!

(٢) يعني أهل أوربة الذين سيطروا على الهند وغيرها حقبةً .

(٣) الأفلاك من الهبوة التي أثرتها في جهادك على الأرض .

(٤) الشطران بين الأقواس بيت للشيخ سعدي الشيرازي .

سـدَّةَ الســاقـي بخـدَّيـه يَـدوسْ منشـداً قصَّـة غلمـانِ المجـوسْ[1]
وأنـا فيـكِ قتيـلُ الحـاجـبِ وتُـرابٌ فـي حِمـاكِ الحـادب
أنـا مـنْ نظـم مـديـحٍ أرفـعُ لسـتُ ممَّـن لأميـرٍ يَـركـعُ
كـمْ مـرايـا صُغتُهـا مـنْ كلِمـي فَعَـنِ إسكنـدرَ تعلـو هِممـي[2]
لا تَـرى المنّـةَ جيـدي تـأطِـر من زهور الروض حِجْري صَفِرُ[3]
مُقْـدِمٌ فـي الـدَّهـر مثـل الخِنجـرِ منْ قلوب الصَّخر مائي أمتري[4]
أنـا فـي نـار الحيـاة الشَّـررُ فـي ثيـابٍ مـنْ رمـادي أسْتَـرُ

* * *

قَصَـدَتْ بـابـكِ روحـي فـي خشـوع فـي هـدايـا مـن لهيـبٍ ودمـوعْ
إنَّ فـي الـزرقـاء يمَّـاً يقطـرُ فـوق قلـبٍ لا هـبٍ لا يفتـرُ
أجمـعُ القطـر ربيعـاً جـاريـا[5] وإلـى روضِـكِ أزجـي صـافيـا
قـد حُييـت الحـبَّ مـنْ محبـوبنـا أنتِ قلبٌ قد ثوى في صدرنا[6]
قـذف العشـقُ بقلبـي حُـرَقـا صـاغَ مـرآةً فـؤادي المُحـرَقـا
وشققـتُ الصَّـدر ، كـالـورد لـكِ[7] مُـدنيـاً مـرآتـه مـن وجهـك

---

(١) يعني : أنَّ الشعراء الآخرين فتنوا بذكر ألحان وغلمان المجوس ، وهؤلاء في الشعر الفارسي كغلمان النَّصارى في الشعر العربي يقرن ذكرهم باللهو والسكر ؛ إذ كانوا خدم الحانات .

(٢) مرآة إسكندر مشهورة في الشعر الفارسي ، يقال : إنه كان يرى فيها الأقاليم ولعلَّ أصل الخرافة منارة الإسكندرية ومراياها . ويقول الشاعر هنا : إنَّ في شعري مرايا كمرآة إسكندر ، فلست في حاجةٍ إليها .

(٣) يعني : أنه لا يجني الزهر في حجره بل يستكبر أن يجنيه استغناءً عنه .

(٤) حذف بعد هذا بيتان .

(٥) الربيع : النهر الصغير .

(٦) محبوبنا الرسول ﷺ .

(٧) يتخيل الشعراء أن الورد يمزق صدره حين يتفتح ، ويقول الشاعر : إن العشق صاغ قلبه=

لتنالي نظرةً من سِحرِكِ وتُرَيْ مغلولةً في شَعرِكِ[1]
ثم أشدو قِصَصاً من أمسك فأذَكّي حُرَقاً في نفسِكِ

* * *

أسأل الحقَّ حياةً تحصُف لفريقٍ نفسَه لا يعرف
نائحٌ والليل ساجٍ سادلُ يهجَعُ الناسُ ودمعي هاطلُ
تصطلي روحي بحزنٍ وألمْ وردُ « يا قيُّوم » أُنسي في الظُّلمْ
أملاً في الصدر صيَّرتُ دما ليُرَى في أدمُعي مُنسجما
ما احتراقي كشقيقٍ أبدا فيم أستجدي من الفجر النَّدى[2]
أنا كالشَّمع دموعي غُسُلي في ظلام الليل أذكى شُعَلي
محفلُ الناس بنوري يُشرقُ أنشرُ النُّور ونَفسي أحرقُ
ما لناري في الحشا من فَترةٍ ما بأسبوعي فَراغُ الجمعة[3]
إنَّ روحي في سحيق الجَسد آهةٌ ثوبَ غبارٍ ترتدي[4]
مُذْ براني الحقُّ فجرَ الخلقة زلزلتْ أوتارَ عودي أنَّتي
أنَّةٌ للعِشْق تُفشي سرّهُ آهةٌ في العِشْق تُذكي جمرهُ
تجعل العصفَ لهيباً يُحرقُ وفَراشاً من ترابٍ تخلُق[5]

* * *

= مرآة وهو يشق صدره فيضع هذه المرآة أمام الأمة الإسلامية لترى فيها حقيقتها .

(١) أي لتقدري جمالك ، وتدركي مزاياك ، وتحبي نفسك .

(٢) الشقيق : زهر أحمر يجعله الشعراء مثلاً للاحتراق . ويقول إقبال : ما هذا الاحتراق الذي هو لون لا حقيقة له ، ولماذا أستجدي الندى من الفجر كالشقيق وغيره من الزهر . أنا أحترق بناري كالشمع وأتخذ من دمعي ندى .

(٣) أيامه كلُّها عملٌ وجهدٌ ، ليس فيها يوم راحة .

(٤) روحه آهة والجسد تراب يسترها كما يتردى الإعصار بالغبار .

(٥) تجعل العصف ـ وهو الهشيم ضعيف اللهب ـ ناراً قوية تحرق غيرها ، وتخلق من التراب فراشاً هائماً يهفو على النار .

في ضمير العِشْقِ وَسْمٌ كالشَّقرْ ... وله وردةُ وجدٍ تستعرْ
هذه الوردة أحبُو صَدركِ ... في سُباتٍ منك أذكي حشرَكِ
لأرى في تُربكِ الروضَ الينيعْ ... وبأنفاسكِ أرواحَ الرَّبيعْ

* * *

في معنى ارتباط الفرد والأمَّة

رحمةٌ للفرد حِجْرُ الأمَّة ... كاملٌ جوهرُه في الملَّة
فالْزَمَنَّ الجمعَ جهْدَ المستطاعْ ... في ذُرا الأحرار كنْ مثلَ الشعاعْ
واحْفَظَنْ ما قاله خيرُ البشر : ... كلُّ شيطانٍ منَ الجمع نفرْ
فَرْدنا مرآته أمَّتُهُ ... وكذا مرآتها صورتُه
وهما سِلْكُ نظامٍ ودُرَرْ ... أو نجومٌ تتجلَّى في النَّهَر[1]
قيمةُ الأفرادِ جدوى الملَّةِ ... ومن الأفراد نظم الأمَّة[2]
وإذا الواحدُ في الجمع نما ... كان كالقطرة صارت خِضْرِما
جُمعَ الماضي له في لُبِّه ... والتقىٰ الغابرُ والآتي به
صلة الأمس تراه والغَدِ ... وقتُه لا ينتهي كالأبدِ
هو بالأمَّة قلبٌ طامحُ ... وهو بالأمَّة سعيٌ رابحُ
روحه من قومه ، والبدنُ ... سرُّه مِنْ قومه والعَلَنُ
بلسانِ القوم يشدو منطقا ... وَمِنَ الأسلاف يَقفو طُرُقا
تُنضجُ الفطرةَ فيه الصُّحبةُ ... فتراه الفردَ وهو الأمَّةُ
تُحكِمُ الوحدةَ فيه الكثرةُ ... وهي ، بالوحدةِ فيه ، وحدة[3]

---

(١) نهر المجرة .
(٢) قيمة الأفراد من فضل الأمَّة عليها .
(٣) كثرة الأمة لا تضر بوحدة الفرد بل تحكمها ، والكثرة فيها موحدة بوحدة الفرد . ورأي=

أفـرِدِ اللَّفـظ مـن البيـت تـرى ... جـوهـر المعنـى لـديـه انكسـرا[1]

تَسْقُـطُ الأوراقُ مـن غصـنٍ ينيـع ... فتُـرى محـرومـةً وصـلَ الـرَّبيـعْ

طفئـت أنغـامُ أعـوادِ غِنـاء ... فـاتهـا مـنْ زمـزم الأمَّـة مـاء

يُحـرَم الفـردُ الـوحيـدُ المقصِـدا ... فتـرى نظـمَ قُـواه بَـدَدا

تجمـعُ الأمَّـةُ شمـلَ المُنّـة ... فيـه تحبـوه عظيـمَ الهمَّـة

نشَـأتْ بـالقيـد حـرّاً مطلقـا ... أثبتـتْ فـي الأرض سَـرْواً بَسَقـا[2]

ظَبيُـه الـوثّـابُ مِسكـاً يَعبـق ... إنْ حـواهُ مـن نظـامٍ وَهَـق[3]

أنتَ لم تعرفْ «خودي» من «بيخودي» ... أنـت لا ريـبَ مـن الشـكِّ رَدِي[4]

إنَّ فـي طينـك نـوراً قـد بـدا ... بشعـاعٍ منـه أبصـرتَ الهـدى[5]

كـلُّ غـمٍّ ورضـاً مـن دورتـهْ ... أنـت حـيٌّ بتـوالـي ثَـورتِـه

أنـت منـه أنـت حقّـاً ، وأنـا ... أنـا وهـو الفـرد لا يـرضى ثُنـا[6]

يخلـقُ النَّفـسَ ويَـذْرو ويُقِـرّ ... ذو دلالٍ فـي خضـوعٍ مستتـر[7]

= إقبال أن غاية الجماعة تقوية الفرد وإسعاده ، وهو لا يفنى فيها .

(١) الفرد في الجماعة كلفظ في بيت من الشعر إن فصلت اللفظ من البيت اختل البيت ، وتعطل معنى اللفظ .

(٢) تقيد الفرد بقيود الجماعة لا يعبده بل يحرره ، وثباته في الجماعة ينميه مثل الشجرة تثبتها في الطين فتنمو وإن لم تثبت في الأرض لم تنم .

(٣) الوهق : حبل فيه آخية يصطاد به يعني : أن قيد النظام للإنسان يمنع وثوبه ولكن يكمله ويطيبه .

(٤) أثبت خودي ، ومعناها : الذَّاتية ، وبيخودي : أي نفي الذاتية على لفظهما في الأصل يعني الشاعر أنَّ الإنسان إن لم يميز مواضع الذاتية من مواضع نفيها اشتبه عليه أمره ، وهذا أساس فلسفة إقبال . انظر المقدمة .

(٥) يعني : الذاتية .

(٦) وجودك منه ووجودي منه ، وهو مع هذا فرد لا يثنى .

(٧) هذا النور الذي يسميه الذاتية يصنع نفسه ويثبتها ويفرقها . وله دلال يظهر في صورة خضوع ، يعني أنه غالب ، وكأنه مغلوب .

يـأسـرُ الشعلـةَ هـذا الشَّـررُ ... لهـبٌ مـنْ حـرِّه مُستعـرُ[1]
حـرةٌ رهـنُ قيـودٍ فطـرتُـه ... جـزؤه بـالكُـلِّ حـاطـت قـوَّتـه
لكفـاح دائـمٍ تنـزُو قُـواه ... هو يُسمَى الذاتَ أو يُسمَى الحياه
يستثيـرُ الحـربَ فـي جلـوتِـه ... حيـن يُبـدي النَّفس منْ خلوتـه[2]
يقطـع الجبـرُ عليـه الطـرُقـا ... ولـهُ بـالحـبِّ فـرعٌ سَمَقـا[3]
تتشظّـى الـذَّاتُ فـي أمَّتهـا ... لتُـرى الـروضـةُ مـنْ زهـرتهـا[4]
نكتـةً خـذهـا بكـفٍّ مِخْـدَم ... « وانصـرف عنِّيَ إن لـم تفهـم »[5]

* * *

في معنى أنَّ الملَّة تنشأ من إخلاص الأفراد وأنَّ تكميل تربيتها بالنبوَّة

مـا ارتباطُ الجمعِ ، أنَّى يوصَفُ ؟ ... قصـةٌ أوَّلُهـا لا يُعـرفُ
إنَّنـا نبصـرُ فَـرداً فـي الجميـعْ ... زهـرةً نقطـف فـي هـذا الربيـع[6]
فِطـرةٌ تنهـجُ نَهْـجَ الـوَحـدةِ ... إنّمـا تـزهـرُ وَسْـط الـرَّوضـة
كـلُّ فـردٍ بـأخيـه ائتلفـا ... مثـلَ درٍّ فـي سُمـوطٍ ألِّفـا
لَفَّهـم فـي عيشهـم معتَـرَكُ ... كـلُّ فـردٍ بـأخيـه مُمسِـكُ

---

(١) شررٌ صغير ، ولكنه كبيرٌ في معناه يقوى على الشعلة الكبيرة .
(٢) يظهر من خلوته أي يبدو في الكون فيثير حرباً هي جهاد الحياة الدائم .
(٣) الجبر والإكراه يقطع عليه الطريق ، وهو بالحق والاختيار ينمو ويعظم .
(٤) تفرق الذات نفسها فتنمو من زهرتها روضة ، أي : تعظم وتكثر بهذا التفريق .
(٥) هذا الشطر من المثنوي لجلال الدين الرومي .
(٦) مذهب إقبال أنَّ غاية الجماعة سعادة الفرد ، وأن الفرد لا يفنى من أجل الجماعة .

مـــن جِـــذابٍ تتـــوالـــى الأنجـــمُ كـــوكـــبٌ مـــنْ كـــوكـــبٍ مستحكِـمُ

* * *

كـــان رَكـــبُ النَّـــاسِ مـــأواهُ الجبـــالْ ومـــــروجٌ وسُهـــــوب ورمـــــالْ
نسجُـــه مـــا أُحْكِمـــتْ لُحْمَتُـــهُ فِكْـــرُهُ مـــا فُتِّحَـــت زهـــرتُـــهُ
عـــــودُهُ مـــــا بلحـــــونٍ رَنَّمـــــا لحنُـــه لمَّـــا يُـــؤلِّـــفْ نَغَمـــا
لـــم يُثِـــره مِـــنْ رجـــاءِ مِضْـــرب لـــم يَخـــزه بـــزبـــانـــى مطلـــب[1]
محفـــلٌ غُفْـــل حـــديـــثِ المـــولـــد جـــامُـــه مـــن خمـــره غيـــر نـــدي[2]
لـــم يُـــرعـــرعْ فـــي ثَـــراه نجمُـــه كـــرْمُـــه مـــا فـــارَ فيـــه دمُـــه[3]
فكـــــره دارٌ لغيـــــلانِ الخيـــــالْ خـــائـــفٌ مـــنْ وهمـــه فـــي كـــلِّ حـــالْ
ذو وجـــــودٍ ضيِّـــــقٍ ميـــــدانُـــــه قـــد أحـــاطـــت فكـــرَه جُـــدرانُـــه
طينُـــه مـــن خيفـــةٍ قـــد خُلقـــا قلبُـــه مِـــنْ قَصْـــفِ ريـــحٍ خَفَقـــا
روحُـــه مـــنْ كـــلِّ صَعْـــبٍ تهـــرُبُ يَـــدُهُ فـــي أرضـــه لا تضـــربُ
كـــل مـــا ينمـــو بـــأرضٍ يقطِـــفُ كـــلُّ مـــا تـــرمـــي سمـــاءٌ يلقَـــفُ

* * *

ثـــم يهـــدي الله ذا قلـــبٍ بصيـــر يكتـــب الأسفـــار مِـــنْ حـــرفٍ يسيـــر
عـــازفٌ فـــي كـــلِّ نفْـــسٍ ينفُـــث وحيـــاةٌ فـــي مـــواتٍ يَبعـــث
تقبـــسُ الـــذرَّة مِـــنْ أنـــواره كـــلُّ قَـــدرٍ حـــالَ فـــي معيـــاره[4]
يَنشـــر الأنفـــسَ منـــه نَفَـــسُ بشعـــاعٍ منـــه يُـــزهَـــى مجلِـــسُ

---

(١) المضرب ما يضرب به أوتار العود .
(٢) يعني : ليس عنده نشوة العمل والإقدام .
(٣) النجم : النبت الذي لا ساق له .
(٤) أي : تغيرت قيم الأشياء بما أتى به من مقاييس جديدة .

شفةٌ تُحيي وعينٌ تَجذبُ ... وحَّدا الأشتات هذا عجَبُ[1]

يَهَبُ النَّاسَ جديدَ النَّظر ... يَجْعَلُ البيدَ كروضٍ نَضِرِ[2]

فترى الأمَّةَ مِنْهُ سائره ... بلهيبٍ مِنْهُ حَرَّى ثائره

شرراً في قلبها قَدْ أشعلا ... فأحالَ الطِّينَ فيها شُعَلا

سيرهُ يعطي الترابَ البصَرا ... فإذا الذرَّةُ سيناءَ تَرَى[3]

عارِيَ العقل بجدواه كسا ... وَهَبَ الثروةَ هذا المفلِسا[4]

ينفُخُ الجمرة في موقِده ... ويذيب الغِشَّ من عسجده[5]

ويفكُّ العبدَ مِنْ أغلاله ... ويُجير القِنَّ من أقياله

قائلاً أن لستَ عبداً فاعلَمِ ... أتَرى قدرَك دون الصَّنَم[6]

يجذب الإنسانَ شطر المقصد ... جاعلَ الشَّرع زماماً في اليدِ

نكتةَ التوحيد يوحيها إليه ... أدبَ الطاعة يمليه عليهْ[7]

* * *

---

(١) كلامه ونظره يجذب البعيد إليه حتى يصيرا كنفسٍ واحدة .

(٢) يهب الناس نظراً جديداً فيرون الأشياء على غير ما رأوها قبلاً ، فرب حسن يصير قبيحاً ، وقبيح يصير حسناً .

(٣) ترى الذرة على ضآلتها طور سيناء . الذرة لا ترى إلا في نور الشمس ، ولكن هذا الرسول الذي يتحدث عنه الشاعر يحيي الموات ، وينير الظلم ، فترى الذرة طور سيناء .

(٤) العقل عريان مفلس حتى يمده الرسول فيكسوه ويغنيه أي : هو يهدي العقل ويقويه .

(٥) يشعل العقل ، ويميز له الخبيث من الطيب .

(٦) الناس يعبدون الصنم ويستعبدون الإنسان فيقول الرسول للإنسان لست عبداً ، ولست قدراً من الأصنام .

(٧) يقيده بالشريعة ليجذبه إلى المقصود ويعلمه توحيد الله وأدب الطاعة فترى الإنسان حراً من عبادة الكبراء مقيداً بالشرع .

أركان الأمَّة الإسلاميَّة

الركن الأول : التوحيد

طـوَّفَ العقـلَ بـدنيـا العِلـلِ ... قـاده التَّـوحيـد شطـر المنـزلِ
أعـوَزَ المنـزلُ هـذا السـابـلا ... زورقُ الفكـر أضـلَّ السـاحـلا
في « آتي الرحمن عبداً » مُضمرُ ... رمـزُ تـوحيـدٍ لقلـبٍ يُبصـرُ[1]
يبتلـي التـوحيـدُ فيـك العمـلا ... فيجلِّـي لـك سـرّاً أُغفِـلا
يُشـرق الـدِّيـنُ بـه والحكمـةُ ... ويُـرى الأيـدُ بـه والمُكنـةُ
قـد تجلَّـى حيـرةً للعـالِميـن ... وتجلَّـى عمـلاً فـي العـاشقيـن
يـرتقـي فـي ظلِّـه المتَّضِـعُ ... ويصيـر التُّـربُ تِبْـراً يَسطـع
يجتبـي التـوحيـدُ عبـداً ثـابَـرا ... فيـردُّ العبـد خلقـاً آخـرا
فهـو فـي الحـق حثيـثٌ دائـبُ ... دمُـه كـالبـرقِ فيـه لاهِـبُ
ريبـهُ يَفنَـى ويحيـا العَمـل ... عينُـه فـي الكـونِ يَقظى تعمَـلُ
فـي « مقـام العبـد » إن تثبـتْ قـدم ... جَـرَّة السـائـلِ تُصبـحْ جامَ جـم[2]
« لا إلـه » الـروحُ فـي أمتنـا ... « لا إلـه » اللَّحـن فـي نغمتنـا[3]
« لا إلـه » السـرُّ فـي أسـرارنـا ... « لا إلـه » السمـط مـن أفكـارنـا
صـار قلبـاً إنْ حـواهـا حجـرُ ... كـلُّ قلـبٍ لـم تُتِـرْه ، مَـدَرُ
يتلظَّـى الكـونُ مـنْ زَفـرتِهـا ... ويضـيءُ القلـبُ مـنْ وقـدتهـا
وتُسيـل القلـب مـاءً فـي الصـدور ... تصهـر المـرآة منـه فـي الحَـرور

---

(١) إشارة إلى الآية في سورة مريم ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

(٢) كأس جشميد التي ترى فيها الأقاليم السبعة . أي إن صدقت النية في مقام العبودية لله وحده ينقلب السائل ملكاً ووعاؤه الذي يجتدي فيه يصير كأس جمشيد .

(٣) تقدَّم أنَّ « لا إلـه » اختصار كلمة التوحيد .

شعلةٌ في روحنا مثلُ الشَّقيق ... كلُّ ما نمتاره منها الحريق
بيَّض التَّوحيدُ مُسودَّ البَشَرْ ... فأبو بكرٍ أخوه وعمر
ليس إلا القلب قربٌ وابتعادْ ... وهذه الكأسُ بها هاجَ الفؤاد
وحدة القلب قوامُ الأمَّة ... أشرقتْ سيناءُ من ذي الجلوة
قد هدى الأمَّة سُبْلَ العمل ... هذه الفكر بها والأملِ
نزعةٌ واحدةٌ في قلبها ... فعيارُ الحُسْنِ والقُبْحِ بها
لا يُجيد الفكرُ في قيثاره ... دونَ نارِ الحقِّ في أوتاره[1]
نحن في الإسلام أبناءُ الخليلْ ... من « أبيكم » خذ إذا شئت الدَّليلْ[2]
أُممٌ قد عبدتْ أوطانَها ... وبنتْ منْ نسبٍ بنيانَها
أترى الأوطانَ أصلَ الأمم ... تُعبَد الأرضُ بها كالصَّنم؟
إنَّما الأنسابُ فخرُ السُّفهاءْ ... حُكمها في الجسم ، والجسمُ هَباءْ
ضمَّنا في الحقِّ أسرٌّ آخرُ ... هو في الألباب منَّا مُضمَرُ
قد خلصنا من حدودٍ وقيود ... قلبنا في الغيب إذ نحن شهودْ[3]
ضمَّنا ، كالزهر ، نظمٌ مضمرُ ... بصرٌ ليس يراه مُبصرُ[4]
وُحِّد الرئيُ لنا والفكرةُ ... كسهامٍ جمعتْها جَعبةْ[5]
نحن فكرٌ وخيالٌ واحد ... ورجاءٌ ومآلٌ واحدُ
نحن من نعمائه حِلفُ إخاءْ ... قلبنا والرُّوحُ واللفظ سواءْ

* * *

---

(١) الفكر وحده لا يجدي ، ولا بد له من حرقة الإيمان .
(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج : ٧٨] .
(٣) أمتنا مؤسسة على العقيدة لا على الأرض . فقلوبنا ليست رهن الحس بل هي منصلة بالغيب ، أي بالمعاني التي لا تحدها الأوطان .
(٤) نظامنا قائم غير مرئي ، كالبصر لا تدركه الأبصار .
(٥) الرئي : المظهر .

في معنى أنَّ الخوف ، والحزن ، واليأس أمهاتُ الخبائث[١] وقاطعاتٌ طريق الحياة ، وأنَّ في التوحيد دواءَ هذه العلل الخبيثة

عُـدَّة المـوت قُنـوطٌ مُحبـطُ ... والحياة الحقُّ أن « لا تقنطوا »[٢]

إنمـا العيـشُ رجـاءٌ يُـوصـل ... فقنـوطُ الحـيِّ سـمٌّ يَقتـل[٣]

يـأسـك القبـر إليـه تـرجـع ... إن تكـنْ ألْـوَنْـدَ فهـو المصـرع[٤]

رُبّـت الخيبـة فـي أكنـافـه ... ونمـا العجـز علـى ألطـافـه[٥]

آهِ مـنْ نـوم الحيـاةِ المُخـدِر ... إنَّـه آيـةُ ضعـفِ العنصـر

كحلُـه فـي العيـن يُعمـي البصـرا ... ويـردُّ الصُّبـحَ ليـلاً أكـدرا[٦]

نفـسٌ منـه سَمـومٌ للحيـاه ... كـلُّ ينبـوعٍ بـه جـفَّ ثـراه

وهـو للغـمِّ حليـفٌ واصـلُ ... إنَّمـا الغـمُّ لحـيٍّ قـاتـلُ

يـا سجيـنَ الغـمِّ أبصِـر واسمـعِ ... من رسول الله « لا تحزن » وعي[٧]

ذلـك النُّصـح سـرى فـي قلبـه ... فغـدا الصِّـديـقُ صـدِّيقـاً بـهِ

نمـا المسلـم مثـلَ الكـوكـبِ ... بـاسـمٌ فـي سعيـه والـدَّأبِ

---

(١) مأخوذ مما جاء في الأثر من تسمية الخمر أم الخبائث .

(٢) مقتبس من القرآن ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ .

(٣) رجاء يوصل : دائم لا ينقطع .

(٤) ألْوَنْد : جبل عال مشرف على مدينة همذان يعني : إن تكن كجبل ألوَند في اليأس مصرعك .

(٥) الضمير اليأس في أكنافه تشب الخيبة ، وبفضله ينمو العجز .

(٦) الكحل يجلو البصر ولكن كحل اليأس يعمي ويجعل النور ظلاماً .

(٧) إشارة إلى ما حكى القرآن الكريم من قول الرسول لأبي بكر في الغار : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

حـرِّرِ النَّفـس مـنَ الغـمِّ ودَعْ ... إنْ عـرفـت الله ، أغـلالَ الطَّمـعْ
قـوةُ الإيمـانِ تُحيـي فـاعلَمـنْ ... وِرْدَ « لا خوفٌ عليهم » فاقرأنْ[1]
قلبـه مـن « لا تخـف » قلبٌ سليـمْ ... حين يمضي نحو فرعونٍ كليمْ[2]
خـوفُ غيـرِ الله قتْـلُ العمـلِ ... وهـو لـلأحيـاء قطـعُ السُّبُـلِ
وبـه العـزمُ يخـاف الغِيـرا ... وتـرى المِقْـدَام منـه حَـذِرا
مـن نمـا ذا البـذر يـوماً فـي ثَـراهْ ... حَـرمتْـه مـن تجلِّيهـا الحيـاهْ
فهـو فسـلٌ وهـو شـادٍ يَعْـزِف ... يـد شُلَّـت وقلـبٌ يـرجُـفُ
يسـرِقُ الـرجـلَ قُـوَى تسيـارهـا ... يسلـبُ الـرأسَ قـوى أفكـارهـا
إنْ تجلَّـى لعـدوٍّ خـوفُكـا ... هـانَ كـالـوردِ ، عليـه قطفُكـا
سيفُـه يـزدادُ فتكـاً فـي اليـد ... عينُـه فيـك حسـام لا يَـدي[3]
غلَّنـا الخـوفُ ، وكـم فـي بحـرنـا ... مـنْ عُبـابٍ مـائـجٍ فـي دهـرنـا
إنْ أبَـى النَّغمـة يـومـاً مِـزهـرُكْ ... فمـنَ الخـوف تنـدَّى وتـرُكْ
فـاعـزِكِ الأذنَ يَثُـر فيـه الغنـاء ... ويهـزَّ اللحـنُ آفـاقَ السَّمـاءْ
كـلُّ شـرٍّ فـي فـؤادٍ يُضْمـرُ ... أصلـه الخـوفُ ، إذا مـا تُبصِـرُ
مـنْ ديـار المـوت عيـنٌ قَـدِمـا ... مثـل ميـم المـوت قلـبٌ أظلمـا[4]
عينُـه تلبيـسُ آثـارِ الحيـاه ... أذْنـه تـدليـسُ أخبـار الحيـاه[5]
يُـزهـر الخِـبُّ بـه والمَلِـق ... ونفـاقُ القلـبِ منـه يـورقُ

---

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

(٢) إشارة إلى قصة موسى وفرعون وقول الخالق عن موسى : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ وفرعون هنا نكرة ولهذا لحقه التنوين .

(٣) لا يؤدي دية من قتله .

(٤) عين : جاسوس . والميم في خط الرقعة والخط الفارسي مصمتة . فجعل الشاعر الخوف مظلم القلب مثل ميم الموت . وفي الأصل ميم مرك . ومرك : موت . فالميم في الأصل والترجمة .

(٥) تشوه مظاهر الحياة عينه . وتحرف أخبار الحياة أذنه .

ثـوبـه للـزُّور سترٌ والـريَـبْ حِجْـرُه الفتنـةُ فيـه والحـرَبْ
حُـرِمَ الخـوفُ طُمـوحَ الهمَّـةِ فهـو خـدنٌ لحليـف الـذِّلَّـةِ
كـلُّ مـن يفقـد سـرَّ المصطفـى يجـدُ الإشـراكَ في الخـوْفِ اختفى

* * *

محاورة السَّهم والسَّيف

قـال سهـمٌ مـرهـفٌ يـوم الـزِّحـامْ قـال للسيـف وللحـرب ضـرامْ
يـا مـن الجَنَّـة فـي أعطـافـه ذو الفقار العضبُ من أسلافه ![1]
خـالـداً صـاحبْـتَ يَفْـري الفيلَقـا وعلـى الشَّـام نثـرتَ الشفقـا[2]
نـارُ قهـر الله فـي جـوهـرِكـا جَنَّـةُ الفـردوس مـأوى ظلِّكـا !
إننـي فـي الجـوّ أو فـي جَعبتـي حيثمـا كنـت ، بجسمـي شُعلتـي
وإذا القـوس رمتنـي للثُّبـور بَصُـرَتْ عينـي بـأحنـاء الصُّـدور :
إنْ خـلا الصَّـدرُ مِـنَ القلـبِ السَّليم مـا بـه يـأسٌ ولا خـوفٌ مقيـمْ
نَفـذ النَّصـل خِـلالَ الأعظُـمِ فكسـوتُ الجسـمَ درعـاً مـن دمِ
وإذا حَـلاَّه قلـبٌ مـؤمـنُ نـورُه الظَّـاهـرُ ممَّـا يُبطـنُ
ذاب روحـي مـن فـؤاد وَقـدا وهمـىٰ نصلـي كقطْـرات النَّـدى

* * *

---

(١) ذو الفقار : سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
(٢) في الأصل وعلى الشام نثرت الشفقا . وشام في الفارسية بمعنى الليل .

قصَّةُ

السُّلطان عالمكير والأسد[1]

إنَّ عـالمكيـر عـالـي المنـزلِ ... مـن بنـي تيمـور فخـرِ الـدُّول
كـانَ لـلإسـلامِ منـه عِـزَّةٌ ... ولحكـم الشـرع فيـه حُـرمـةُ
آخـرُ الأسهـم فـي جُعبتنـا ... فـي ذيـاد الكفـر عـن ملَّتنـا
غَـرَسَ الإلحـاد فينـا أكبـرُ ... فنمـا فـي طبـع دارا يُـزهِـر[2]
وخبـا فـي الصـدر مصبـاحُ الفـؤادْ ... وبـدت أمتنـا رهـنَ فسـادْ
فتـولَّـى الهنـد فـي ذي المحنـةِ ... زاهـدٌ ربُّ حسـامٍ مُصلـتِ
اجتبـاه الحـقُّ للـديـن المبيـن ... اجتبـاه أجـلَ تجـديـد اليَقيـنْ
أحـرَق الإلحـاد مـنْ بـرق الحُسـامْ ... وأنـار الـديـنَ فـي هـذا الظـلامْ
حـرَّف الجُهَّـالُ عنـه مـا جـرى ... فكـرُهـم عـن قصـده قـد قصَّـرا
كـان إبـراهيـمُ بيـت الصنـمِ ... فـي لظـى الحـقِّ فَـراشـاً يـرتمـي
كـان فـي الأمـلاك فـرداً خيِّـرا ... زهـدُه مـنْ قبـره قـد ظهـرا[3]

---

(١) هو محيي الدين عالمكير الملقب أورنغ زيب ، أحد عظماء الملوك في دولة المغول في الهند ، وكان حريصاً على نشر الإسلام في الهند ملتزماً حدود الشرع ، حكم الهند من سنة ١٠٩٩هـ إلى سنة ١١٤٨هـ ، انظر ترجمته في « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » للعلامة عبد الحيّ الحسني ، الجزء الثاني ، طبع دار ابن حزم بيروت .

(٢) أكبر هو جلال الدين أكبر من أعظم سلاطين المغول في الهند ، حكم خمسين سنة ، وحاول أن يجمع بين الإسلام والأديان الأخرى في دينٍ سمَّاه الدين الإلهي ، وكان يتقرّب إلى الهنادك ، ويرعى شعائرهم . ودارا أخو عالمكير المذكور هنا .

(٣) شاهجهان بن تاج محل لزوجه . فلما ولي عالمكير لم يبنِ لأبيه مزاراً بل دفنه بجانب زوجه في تاج محل . ثم بنى لنفسه قبراً صغيراً ساذجاً .

ذاكم المَلك الفقير الجاهد ... زينة العرش المليك الماجد[1]

سار صبحاً مُوغلاً في غَيضة ... معه من جُنْدِه ذو ثقة

في نسيم الصبح نشوانَ خَطَر ... سامعاً تسبيح طيرٍ في الشجرْ

وامَّحى السلطانُ في شوق الصلاه ... من مجاز حثَّ للحقِّ خُطاه

وأتى ليثٌ مَهيبٌ فَتِك ... صوتُه يَرعَد منه الفلكُ

شمَّ ريحَ الإنس بُعداً فدنا ... وعلى السلطان أهوى البُرثُنا

فإذا الخنجر منه في اليد ... باقراً كالبرق بطنَ الأسد

لم يفزَّع قلبُه بالبغتة ... خال ليث الغاب ليث الصُّورة[2]

ثمَّ للحقِّ دعاه الولَهُ ... في صلاة الوجد معراجٌ له[3]

مثل ذا القلب الذي لم يَهنِ ... دارُه بالحقِّ صدرُ المؤمن

إنما العبد أمامَ الحقِّ « لا » ... وهو للزور « نعم » لن يَبطُلا[4]

أيها الغافل! قلباً حصِّلا ... هيِّئنْ للحِبِّ هذا المحملا[5]

ابذلِ النَّفسَ تَنَلْها لا مفرّ ... ذلَّ للحقِّ تَنلْ عزَّ الدَّهر

أحرقنْ بالعشق خوفاً وانهدَا ... حملاً في الحق ليثاً للعِدى

إنَّ خوفَ اللهِ إيمانٌ جليّ ... ثمّ تقوى غيرِه شركٌ خفي

* * *

---

(١) زينة العرش لقب هذا السلطان (أورنك زيب) .

(٢) توهم الليث صورة ليث .

(٣) ثم دعاه الوجد إلى الصلاة مرةً أخرى .

(٤) العبد لدى مولاه يفنى ولكن يثبت في جهاد الباطل واللفظان العربيَّان « لا » ، و« نعم » في الأصل .

(٥) الألف في حصلا نون التوكيد الخفيفة .

الركن الثَّاني

الرسالة

تـارِكُ الآفِـل ، مِـنْ قبـلُ الخليـل ... هُـو للـرُّسْـل علـى النَّهـج دليـل
إنَّـــه لله فينـــا آيـــةُ ... رُبِّيـــتْ فـــي قلبـــه ذي الملَّـــةُ
﴿ طهِّـــرا بيتـــي ﴾ إليـــه أنـــزلا ... بعـــد سَيْـــلٍ مـــن دمـــوعٍ سُيِّـــلا[1]
قفـــرةً مـــن أجلنـــا قـــد عَمَّـــرا ... وبنَـــى البيـــتَ الـــذي قـــد طَهَّـــرا
﴿ تـــب علينـــا ﴾ نضَّـــرت زهـــرتها ... فنَمـــتْ فـــي أرضنـــا روضتُهـــا[2]
صـــوَّر الـــرحمـــنُ منَّـــا هيكـــلا ... وحبـــاه الـــروحَ ممَّـــا أنـــزلا
أحـــرُفـــاً كنَّـــا ولَسنـــا كَلِمـــا ... فتـــألَّفنـــا كبيـــتٍ نُظِمـــا
بـــالـــرســـالاتِ بـــدا تكـــويننُـــا ... شـــرعُنـــا منهـــا ومنهـــا دينُنـــا
ذاكَ مَـن « يهـدي إليـه مـن يـريـدْ » ... حلقـــةً منهـــا حـــوالينـــا يشيـــد[3]
حلقـــــةٌ ذاتُ محيـــــطٍ يُعجـــــزُ ... ســـاحـــةُ البطحـــاء فيهـــا مـــركـــز[4]
نحـــــنُ ممَّـــــا جمَّعتنـــــا أمَّـــــةُ ... أُرسلـــت للنَّـــاس فيهـــا الـــرَّحمـــة
مَـــوْجُنـــا فـــي بحـــرهـــا متَّصـــلُ ... مـــوجـــةٌ مـــنْ مـــوجـــةٍ لا تُفصـــل
أمـــةٌ فـــي حـــرزِ سُـــور الحـــرَم ... فـــي حفـــاظٍ مثـــلَ أسْـــد الأجـــم[5]

---

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

(٢) إشارة إلى دعاء إبراهيم وإسماعيل ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾ [الحج : ١٦] .

(٤) بطحاء مكة .

(٥) إشارة إلى بيت البردة :

أحـــلَّ أمتـــه فـــي حـــرز ملَّتـــه ... كالليث حلَّ مع الأشبال في أجم =

إنْ تحقَّــق ممعنــاً فــي كَلِمــي ... نظــرةَ الصِّــدِّيــق ربّ الفَهَــم
فــالنبــيُّ الــروح فينــا والعَصَــبْ ... وإلــى القلــبِ مــنَ الــربِّ أحَــبّ
سِفْــرُه فــي القلــب نبــعُ القــوَّة ... شَــرعــهُ حَبْــلُ وريــدِ الأمَّــة
قطــعُ حبــلٍ منــه للمــوت رَديــف ... كذبــول الــورد في ريح الخريف
حيَّــتِ الأمــة مــنْ تــريــاقــه ... صُبحهــا نــوَّر مــن إشــراقــه
وحَّــد المــرســلُ فينــا النغَمــا ... والطَّــوايــا والمُنــى والألَمــا
كثــرةُ الألَّافِ عيــنِ الــوَحْــدة ... ومــنَ الــوحْــدَةِ نَــشء الأمَّــة[1]
وحــدة القصــد حيــاة الكثــرة ... مقصــدُ المسلــم ديــنُ الفطــرة
علَّــم الفطــرة خيــرُ الــرُّســلِ ... فمضينــا للهُــدى كــالشُّعَــل
بحــرُه أخــرجَ هــذا الجــوهــرَا ... نحــنُ روحٌ واحــدٌ منــه سَــرى
هــذه الــوَحْــدةُ مــا لــم تفقَــدِ ... تحفــظُ المسْلِــمَ حتَّــى الأبــدِ
ختــم الله علينــا شِــرْعَتَــهْ ... وعلــى المــرسَــل فينــا بعثَتَــه[2]
محفــلُ الأيَّــام منــا يَبســمُ ... خُتِــمَ الــرُّسْــل بنــا والأمــمُ
خــدمــةَ السَّــاقــي إلينــا صــرفــا ... جــامَــه الآخِــرَ فينــا خلَّفــا
« لا نبــيٌّ بعــدُ » فضــلٌ عُــرفــا ... إنَّــه حــرمــةُ ديــنِ المصطفــى[3]
إنَّــه قــوةُ هــذي الملَّــة ... إنَّــه ســرُّ اتحــاد الأمَّــة
كــلُّ دعــوى بعــدهــا لــلأفَــنِ ... أحكِــمَ الإسلامُ طــولَ الــزَّمــن
مــا ســوى الحــقِّ قــلاه المسلــمُ ... قائلاً : « لا قوم بعدي » فاعلموا

* * *

---

(١) الكثرة المؤتلفة هي في الحقيقة وحدة لا كثرة . وإذا ائتلفت الكثرة فاتحدت نشأت الأمَّة .

(٢) في حاشية الأصل بيت من البردة :

لمــا دعــا الله داعينــا لطــاعتــه ... بــأكــرم الــرسـل كنَّـا أكـرم الأمـم

(٣) لا نبي بعدي فضل من الله على هذه الأمة . ومكانة الإسلام من هذا .

في بيان أنَّ مقصود الرسالة المحمَّدية
تمكين الحرِّية والمساواة والأخوَّة بين البشر

عبد الإنسانُ أصنام البَشرْ ... فهو في عُدْمٍ وذلٍّ محتقر
قيصرُ العَسفِ وكِسرى قيَّدا ... منه جيداً ثمَّ رجلاً ويدا
ومن القسِّيس والمَلْك طِلابْ ... بخراج الحقل ، والحقلُ خرابْ
نصب الأشراك للصَّيد الضرَعْ ... بائعُ الجَنَّة أُسْقُفَّ الخُدَع
حقله قد عاث فيه البَرْهمنْ ... ومجوسٌ أحرقت ما قد خَزنْ
أضعفَ الرقُّ لديه الهِمما ... لَحنُه في عوده سالَ دما

* * *

وأميناً بعث المولى به ... سلَّم الحقَّ إلى أصحابه
رفعَ العُبدانَ بالحقِّ إلى ... سُرُر الخاقان والزُّورَ قَلى
بثَّ في بَردِ الرَّماد الشُّعَلا ... فعلى برويزَ فَرهادُ علا[1]
سلب السُّلطانَ حِزْبَ الآمرينْ ... فسما بالحقِّ قدرُ العاملينْ
عزمُه هدَّ قديماتِ الصُّوَر ... وبنى حصناً جديداً للبشر
بثَّ روحاً حيَّت الموتى بها ... وافتدى الأعبدُ منْ أربابها
مولدٌ مات به العصر القديم ... وبيوتُ النَّار والوثْنِ حطيم
أزهرَ التحريرُ في روضته ... هذه الصَّهباء من كرمَتِه
عصرنا اللآلاء في أنواره ... فتحَ الأعينَ في أحجاره[2]
خطَّ في العالم سطراً مُبدَعا ... أمةً فاتحةً قد أبدعا

---

(١) برويز ملك عظيم من ملوك الفرس . وفرهاد مهندس فارسيٌّ له مع برويز وجاريته شيرين رائعة في الأدب الفارسي .

(٢) المدنية الحاضرة من آثار البعثة الإسلامية فهذا العصر جاء إلى الوجود في حجرها .

صدرُها من وَقدة الحقِّ أضاء ... ذرَّةٌ منها أنارت في ذُكاء
أشرق الكون بها إذ يبتنى ... كعباتٍ منْ بيوت الوثنِ
ولدتها الأنبياء القُدُم ... فإذا الأتقى لديها الأكرمُ
إخوةٌ فيها جميعُ المؤمنين[1] ... طينها حريةٌ في العالمين
المساواة لديها فطرةُ ... ومن التمييز فيها نفرةُ
نسلُها كالسَّرو حرٌّ قد علا ... عهدها أحكِم من ﴿ قالوا بلى ﴾[2]
سجدة الحقِّ بسيماها غُرَر ... قبَّل النجمُ ثراها والقمر

* * *

قصة

أبي عبيد وجابان

في معنى الأخوَّة الإسلاميَّة[3]

مُسلمٌ في حَومةِ الحربِ أسَرْ ... قائداً منْ جيش كِسْرى ذا خَطرْ
قائدٌ ربُّ خداعٍ ماكرُ ... عجمَ الأيامَ ذئبٌ غادرُ
لم يعرِّفْ آسريه باسمه ... أو يحدِّث أحداً عن وسمهِ
قال للآسر : يا ذا الكرمِ ... آمنَنِّي . ذاك شأنُ المسلمِ
وضع الجنديُّ في الغمد الحسام ... مُعلنا أنْ دَمُك اليوم حَرام
وخبَتْ في الحرب نيران العَجَم ... وهوى منْ آلِ ساسانَ العلَمْ
فإذا المأسورُ جابانُ الكبيرْ ... قائدٌ في جند إيران أميرْ

---

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .
(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .
(٣) أبو عبيدة الثقفي : أحد قواد المسلمين في فتح العراق ، وجابان : قائد فارسيّ .

أقبل الجند بصوتٍ قارع ... يسأل القائد قتل الخادع
بُو عبيدٍ قائد العُرْب الأبيّ ... عزمُه في الحرب عن جيش غنيّ[1]
قال يا قوم : ألسنا المسلمين ... نغمةً واحدةً في العالَمينْ
من أبي ذرٍّ علتْ أو حَيْدر ... من بلالٍ سُمعتْ أو قَنبرِ[2]
كلُّ جنديٍّ أمينُ الملَّةِ ... صلحُه والحربُ عهدُ الأمَّة
إنَّ جابان عدوٌّ غَشِمُ ... لكنِ الأمنَ حَباه مسلمُ
دَمُه اليوم عليكم حُرِّما ... أمةَ المختار ! أوفوا الذِّمَما

* * *

قصة

السلطان مراد والعمَّار[3]

في معنى المساواة الإسلاميَّة

أخرجتْ أرضُ خُجندٍ صانعا ... نال في التشييد صيتاً ذائعا
صانعاً فرهادُ حقّاً وَلدا ... لمراد مسجداً قد شيَّدا[4]
غضب السُّلطان منْ تقصيره ... لم يرَ الإتقانَ في تعميرِه
قدَحت عينُ المليك الشَّررا ... ويدَ المسكين فوراً بترا
سار للقاضي حزيناً يجأر ... دمُه من يده يَنْهَمِرُ
قال : يا مَن قولُه الحقُّ المبين ! ... يا حفيظاً شرعَ خيرِ المرسلين !

---

(١) بو عبيد هكذا جاءت في الأصل واقتضى الوزن وذكر الاسم إبقاءها كما جاءت .
(٢) الحيدر : علي بن أبي طالب وقنبر خادمه . يعني : أن نغمة ينطق بها بلال ، أو قنبر هي نغمة علي وأبي ذر . سواء فيها الكبير والصغير ، والسيد والمولى .
(٣) مراد : أحد أمراء خوقند في تركستان في القرن الثالث عشر الهجري .
(٤) فرهاد مهندس له قصة رائعة معروفة في الأدب الفارسي .

لستُ للسُّلطان عبداً فاسْمَعِ ... حكِّم القرآن فينا واقطعِ[1]
قرعَ الحاكم سنَّ المُبلسِ ... ودعا السُّلطانَ نحو المجلس
فأتى السلطانُ يخشى ذنبَه ... هيبةُ القرآن تُدمي قلبَه
عينُه من خجَلٍ للقَدَمِ ... وعلى خدَّيه لونُ النَّدَمِ
وقف الخصمان : خصمٌ يشتكي ... وخصيمٌ في ثياب الملكِ
جَهر السلطان : إنِّي نادمُ ... لا أردُّ الحقَّ إنِّي جارم
وتلا القاضي : « حياةٌ في القصاصْ » ... ذاك قانونُ حياةٍ . لا مناص
ليس دون الحرِّ عبدٌ مسلمُ ... وحَّدَ المعمارَ والمَلْكَ دمُ
سمع القرآن يُملي حكمهُ ... فنضا السلطانُ فوراً كمَّه[2]
إذ رأى الخصمُ الذي قد فعلا ... آيةَ « الإحسان والعدل » تلا[3]
قائلاً : « لله أعفو وكفى ... إنَّني أعفو لأجل المصطفى »
نَملةٌ عزَّت سُليمان القويّ ... انظرن سطوة قانون النَّبيّ
جمع القرآنُ مولىً وفتاه ... وذوي التيجان سوَّى بالرعاء

* * *

في بيان أنَّ الأمة الإسلاميَّة مؤسسة على التَّوحيد فلا تحدُّها الأمكنة

قلبنا الخفَّاق يأبى مَوطِنا ... رِيحُهُ العاصفُ تأبى مسكنا[4]

---

(١) اقطع يد السلطان قصاصاً .
(٢) شمَّر كمَّه استعداداً لقطع يده .
(٣) آية : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل : ٩٠] القطع عدلٌ ؛ والعفو إحسانٌ .
(٤) حذف قبل هذا أبيات فيها حديث وقعة كربلاء .

ليسَ مِنْ هندٍ وروم قلبُنا ... ما سوى الإسلام فيه أرضُنا
كعبٌ الشَّاعرُ في خير العباد ... أنشد المِدحةَ من « بانتْ سعادْ »[1]
نَظَمَ الدُّرَّ منيراً في ثناه ... من سيوف الهند سيفاً قد دعاهُ[2]
مَنْ على الأفلاك فيه رفعةُ ... لم ترقهُ لبلادٍ نسبةُ
قال : سيفٌ من سيوف الله قلْ ... يا نصير الحقِّ زوراً لا تقلْ
وكذا كَمْ قالَ ذو القَدْرِ العلي ... من سَناه كحلُ عين الرُّسل :
ليَ مِنْ دنياكمُ قد حُبِّبا ... بعضُ ما فيها حلالاً طيبا[3]
إنْ تكنْ سرَّ المعاني تعلمُ ... فافهم النُّكتة في « دنياكمُ »
كان في الدُّنيا وفيها ما سَكَنْ ... ذلك المشرقُ في ليل الزمَنْ
مِنْ سَناه قد تجلَّى العالمُ ... مُشرقاً إذ كان طيناً آدمُ
لستُ أدري ما حِماه والوطنْ ... أنا دارٍ أنَّه فينا سكن[4]
قد رأى في أرضنا دنيا لنا ... وهو في الدُّنيا كضيفٍ بيننا
إذ أضعنا القلب في هذا اليَبَاب ... وفقدنا النَّفس في هذا الترابْ
لا تحدُّ الأرضُ قلبَ المسلمِ ... لا يُرَى في تيهِ « أنَّى وكمِ »[5]
ليس للمسلم في الأرض عَطنْ ... حائرٌ في قلبه كلُّ وطنْ[6]

---

(١) كعب بن زهير الذي مدح الرسول بالقصيدة المعروفة : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .

(٢) إشارة إلى البيت :

إنَّ الرسول لسيفٌ يستضاء به ... مهندٌ من سيوف الهند مسلولُ

(٣) إشارة إلى الحديث : « حبب إلي من دنياكم ثلاث . . » إلخ . لم يقل الرسول من دنياي ، أو دنيانا بل قال : دنياكم .

(٤) سكن الإنسان : من يسكن إليه من أهلٍ ، أو صديق .

(٥) لا يتيه في عالم العلل والمقادير .

(٦) يقول إقبال في ديوان ضرب الكليم :

إنما الكافر حيرا ... ن له الآفاق تيه
وأرى المؤمن كوناً ... تاهت الآفاق فيه =

حصِّـلِ القلـبَ ففـي وُسْعَتـهِ ... ضـلَّ هـذا الكـونُ فـي فُسْحتـه
عقـدةَ الأقـوات حـلَّ المسلـمُ ... هجـر الـدارَ الإمـامُ الأعظـم[1]
أمـةً مـلء الـدُّنَـى قـد أسَّسـا ... جعـل التَّـوحيـد فيهـا أسُسـا
صـارتِ الأرضُ لـدينـا مَسْجِـدا ... إذ أشـاعَ الفَضْـلَ فينـا وهـدى
ذلـكَ المحمـودُ فـي الـذِّكرِ الحكيـمْ ... ذلـكَ المحفـوظُ بـالله الـرَّحيـم
تفـزعُ الأعـداءُ مـنْ هيبتـهِ ... فـي ارتعـادٍ مـنْ سَنـا طلعتـهِ
فلمـاذا أرضَ أهليـهِ هجـرْ ؟ ... أتـراه خشيـة الأعـداء فـرّ ؟
حجـبَ القصَّـاصُ معنـى القصَّـةِ ... غلطـوا فـي فهـم معنـى الهجـرة
هجـرةٌ شَـرْعُ حيـاةِ المسلـمِ ... هجـرةٌ سـرُّ ثبـاتِ المُسْلـم
إنهـا التَّسيـار نَحْـوَ الـوُسعـةِ ... ولأجـل اليـمِّ تـركُ القطـرة[2]
اهجـرِ الـزَّهـرة أجْـلَ الـروضـة ... إنَّ هـذا الخسْـرَ ربـحُ الكثـرةِ
شـرفُ الشَّمْـسِ مسيـرٌ مطلـقُ ... فيـه مـن فـوق البـرايـا تخفُـق
لا تكـنْ نهـراً مـن السُّحْـب يُمَـدّ ... وكـن البحـرَ ، عُبـاباً لا يُحَـدّ
اقصـدن تسخيـر كـلَّ العـالَـم ... لتُـرى سلطـانَ أهـلِ العـالَـم
لا يقيّـدك مُقـامٌ فـي الـورى ... وكـنِ الحـوتَ يَسيـحُ الأبحُـرا
كـلُّ مـن حُـرِّر مِـنْ ذُلِّ الجهـات ... فلـكٌ يُـزهِـرْ مـنْ كـلِّ الجهـاتْ
تـركَ الـوردَ شـذاهُ فسـرى ... فـي فسيـح المـرْجِ عِطْـراً نَشَـرا
يـا أسيـراً قـد ثـوى فـي روضـةٍ ... عنـدليبـاً هـائمـاً فـي وردةِ !
سيِّـرَنْ نفسـك حـرّاً كـالصَّبـا ... ثـم عـانـق كـلَّ أزهـار الرُّبَـى

= يعني : أن المؤمن المجاهد لا تعوقه ولا تحيره عقبات هذا العالم ، بل يسخرها كما يشاء .

(١) الإمام الأعظم رسولُ الله ﷺ .

(٢) في القرآن الكريم : ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء : ٩٧] فالهجرة ترك المكان الذي يعسر فيه العمل إلى المكان الذي يتيسر فيه أداء الواجب .

احذرنْ منْ خدعة العَصْرِ الجديدْ التبـاسَ النَّهـج حـاذرْ يـا رشيـدْ

* * *

في بيان أنَّ الوطن ليس أساس الأمَّة

قطَّعـوا الأرحـام بيـن الإخـوةِ صيَّـروا الأوطـان أسَّ الأمَّـةِ
قـدَّسـوا الأوطـان إعجابـاً بهـا قسَّمـوا الإنسـان أسـراباً بهـا
طلبـوا الجنَّـة فـي « بئـس القـرار » « فـأجلُـوا قـومهـم دار البـوارْ »[1]
محـق الجنَّـة هـذا الشجـرُ ليـس إلا الحـربَ فيـه ثمـرُ
أنْكَـرَ الإنسـانُ وجـهَ الإخـوة وانتهـت قصَّـةُ الإنْسـانيـةِ
ذهـبَ الإنسـانُ روحـاً وانقضـى بقيـتْ أقـوامُـه وهْـوَ مَضـى
مَنْصِـبُ الـدِّيـن حـواهُ السَّاسـة فنمـتْ فـي الغـربِ هـذي الآفـةُ
ديـنُ عيسـى بطلـت قصَّتُـه وَخَبـتْ فـي دُوره شُعلتُـهُ
عجـز الأسقـفُ عـنْ تقـديـره حـادتِ الأزلامُ عـن تـدبيـره
قـوم عيسـى حقـروا بِيعَتَـهُ أبطلـوا فـي سـوقهـم سكَّتَـهُ
مـزَّق الـدَّهـريُّ ثـوب المـذهـب ومـن الشيطـان قـد وافـى نَبـي
ذا الفُلَـورنَسـيُّ عبـدُ الـوثـن كحلُـه أودَى بنـور الأعيـنِ[2]
خـطَّ لـلأمـلاك سِفـراً منكـرا وبـذورَ الحـربِ فينـا بـذرا
مـزَّقَ الحـقَّ بحـدِّ القَلـم فطـرةٌ تـؤثـرُ عَيـش الظُّلَـمِ
آزرُ العصـر ، بـدا تـزويـرُه خطَّـةً بِـدعـاً جـلا تفكيـرهُ
جعـل المُلـكَ إلهـاً دينُـه كـلُّ قبـح نـالـه تحسينُـه

---

(١) اقتباس من القرآن جاء في الأصل .
(٢) الفلورنسيُّ : ميكافلي ، مؤلف كتاب الأمير الذي أحلَّ للملوك كلَّ وسيلةٍ تبلغ بهم الغاية .

جعل النفع عيارَ الذَّمِّ ... حينما خرَّ لهذا الصَّنمِ[1]
صارت الحيلةُ فنّاً مُحكما ... ونما الباطلُ ممَّا علَّما
خطةً لِلْوَهْنِ فينا حبَكا ... في طريقِ الدَّهر ألقى حَسَكا
أرمدَ النَّاسَ بهذي الحكمة ... إذْ دعا التزويرَ بالمصلحة

* * *

في بيان أنَّ الأمة المحمدية ليس لها حدودٌ زمانيَّة أيضاً

أرأيتَ الطَّير في عُرسِ الربيع ... وهياجَ الكِمِّ والوَرْدَ الينيعْ
وعَروسُ الزَّهر نَشوَى النَّغَم ... وعلى الأرض قُرىً منْ أنجمِ
غسَلَ العُشْبَ دموعُ السَّخَرِ ... وشدا الماءُ لنومِ النَّهَرِ
وإذا الكمُّ على الغصن رَبا ... منحتْه حِجرَها ريحُ الصَّبا
دَمِيَ البرعومُ مِنْ قطفتهِ ... ومضى كالرِّيح عن روضته[2]
عَشَّشَ الوُرْقَ وطار البلبلُ ... وشذًا فرَّ وطلٌّ ينزل[3]
ليس يُكرى من ربيع رونقُ ... حين تذوي زهرات تَعبِقُ
محفل الأزهار باقٍ يضحك ... لا يُبالي كنزُه ما يُهلك
موسم الأزهار أبقى في الدَّهَر ... هو أبقى من ورودٍ وزهَر[4]
لا يبالي جوهراً قد كُسرا ... مَعدن يُنمي ويُبدي الجوهرا
كم شروقٍ وغروبٍ ، لا مقرّ ! ... أكؤسٌ تؤخذُ من دَنِّ الدّهَر

---

(١) الصنم : الملك .
(٢) الريح : الرائحة .
(٣) تذهب طير وتجيء أخرى ، وتسير الرائحة وينزل النَّدى . فالروضة باقيةٌ على تبدل ما فيها .
(٤) موسم الزهر أبقى من آحاد الزهر . فالزهرة تذبل ، والموسم يدوم .

خمرةٌ من شَربِها لا تنفَدُ ... تذهب الآماس والباقي الغدُ[1]

ثابتٌ في الدَّهر تقديرُ الأممْ ... من مَسير الغدِ سيَّارِ القَدَمْ

يَسفُر الخِلُّ وتبقى الصُّحبة ... يرحل الفرد وتبقى الأمَّة[2]

ولها عيشٌ وموتٌ آخرُ ... ثم ذاتٌ وصفاتٌ أُخَرُ

ينشأ الفردُ من الطِّين القليل ... تولد الأمة من قلبٍ جليلْ

نفَسُ الأمَّة يُحصَى بالمئينْ ... ويعيش الفرد عَشْراتِ سنين

وحياةُ الفَرْدِ روحٌ في بدنْ ... وحياة الشعب في حفظِ السُّنَنْ

موت فردٍ نَضْبُ وردٍ للحياه ... موتُ قَوْمٍ تركُ قصدٍ للحياه

* * *

كمماتِ الفردِ تفنى الأممُ ... ولها يوماً قضاءٌ يُحتَمُ

أمةُ الإسلام تأبى أجلا ... أصلها الميثاق في ﴿قالوا: بلى﴾[3]

لا تخاف الموتَ هذي الأمَّةُ ... ﴿ نحن نزّلنا ﴾ لديها حجةٌ[4]

دامَ ذكرٌ ما أقام الذَّاكرُ ... بدوام الذِّكر دامَ الذَّاكر[5]

ذلك المصباح أنَّى يُطفَأ ؟ ... قال ربي عالماً : ﴿ أن يطفئوا ﴾[6]

أمَّةُ الحقِّ إلى الحقِّ تُنيبْ ... أمَّةٌ يَعْشَقُها أهلُ القلوب[7]

---

(١) الآماس : جمع أمس .

(٢) يسفر ، أي : يُسافر .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] يعني : أنّها قائمة على عقيدةٍ أزليةٍ عامةٍ خالدة فهي دائمة بدوام هذه العقيدة .

(٤) إشارة إلى الآية : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

(٥) المعنى : إن كان الذكر محفوظاً فلا بدَّ أن يدوم الذَّاكر ، فلا ذكر بدون ذاكر .

(٦) الآية : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] .

(٧) إلى الحق تنيب : الحق هنا الله تعالى .

مُصْلتٌ بالحقِّ ذا السَّيفُ الصَّقيلْ ... مُصْلتٌ من غمد آمال الخليل[1]
ما سوى الحقِّ محاهُ برقُه ... ليعيد الحقَّ حيّاً نطقُه
نحنُ للتَّوحيد أقوى حجةٍ ... للكتابِ اختارنا والحكمةِ[2]

* * *

أضمرَ الدَّهرُ علينا ثارَهُ ... مخفياً في صدره تاتاره
أطلق الفتنةَ منْ أحبالها ... ورمى بالطَّوْدِ من أثقالها
فتنةٌ موطنُها هامُ الأممْ ... نظرةٌ منْ طرفها قتلٌ عمَمْ
أنفُ هَوْلٍ في حشاها يرقُدُ ... ليسَ للأمسِ بمثواها غدُ
سطوةُ الإسلام للتّربِ هَوَتْ ... ما رأت بغدادُ روما ما رأتْ
لكن اسألْ ذلكَ الدَّهر المُليمْ ... محدَثَ الأفعالِ ذا المكرِ القديمْ
روضنا كان لهيبُ التتر ... حَلْيَنا كان نِثارُ الشَّرر[3]
فلإبراهيم فينا فطرةٌ ... وإلى المولى لدينا نسبةُ
من لهيب قد جنينا زهَرا ... نار نمرودٍ رَدَدْنا كوثرا
كلُّ نارٍ يوقدُ الدَّهرُ لنا ... زهراتٌ حين تأتي روضَنا

* * *

ذهب الروم وفُضَّ الموكبُ ... شرقُها أقوى وأقوى المغربُ
كأسُ ساسان من الغمِّ دَمُ ... حانُ يونان خرابٌ مُظلم[4]

---

(١) إبراهيم الخليل : كان يأمل أن تخرج من ذريته أمةٌ موحدة فانجلت آماله عن هذه الأمة .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٥١] .

(٣) يعني : كانت نار التتر علينا برداً وسلاماً ، بل كانت روضة لنا كما كانت النار لإبراهيم .

(٤) ساسان الذي تنسب إليه دولة الفرس الساسانية التي سيطرت من القرن الثالث الميلادي=

وعنـــتْ مِصْـــرُ لـــدهـــرٍ عَـــرمِ ... وَثَـــوتْ أعظُمُهـــا فـــي الهَـــرَمِ
وأذانُ الحـــقِّ فينـــا خلَـــدا ... أمـــةُ الإســـلام تبقـــى أبـــدا
إنَّ للكـــونِ مـــنَ العِشْـــق حيـــاه ... وبـــه أجـــزاؤه شـــدَّت قُـــواه
أحيـــت العِشْـــقَ قلـــوبٌ تُسعَـــر ... شَبَهـــا مـــنْ « لا إلـــه » الشَّـــرر[1]
إنْ نكـــنْ كـــالكـــمِّ نُطـــوَى كَمَـــدَا ... فـــرَدانـــا فيـــه للـــرَّوضِ رَدَىٰ[2]

***

في بيان أنَّ الأمة لا تنتظم بغير شريعة
وشريعة الأمة المحمَّدية القرآن

أمَّـــةٌ خلَّـــت يـــداهـــا السُّننـــا ... ككثيـــبٍ مـــنْ رمـــال وَهَنـــا
سيـــرةُ المُسْلِـــم شـــرعٌ وكفـــى ... ذلكُـــم بـــاطـــنُ ديـــنِ المصْطَفـــى
بـــانتظـــامِ الصَّـــوْتِ تعلـــو النَّغمـــةُ ... وهـــي مـــن دونِ نظـــامٍ ضجَّـــةُ
إنَّمـــا فـــي الحلـــق مَـــوجٌ مـــن هَـــواء ... يَعلَـــق النَّظـــمُ بـــه فهْـــوَ غِنـــاء
صـــاحِ هـــلْ تعلـــم مـــا سُنتكـــا ؟ ... أيَّ ســـرٍّ ضَمنـــتْ قـــدرتُكـــا ؟
الكتـــابُ الحـــيُّ والـــذِّكـــرُ الحكيـــم ... حكمـــةٌ فـــي الـــدَّهـــر تبقـــى لا تـــريـــمْ
إنَّ فيـــه ســـرَّ تكـــويـــن الحيـــاه ... يستمـــدُّ النكـــس أيـــداً مِـــنْ قُـــواه
لفظـــهُ لا ريـــبَ أو تبـــديـــلَ فيـــه ... آيـــة لا لَبـــس أو تـــأويـــلَ فيـــه
قـــوةٌ فيـــه تشـــدُّ الخـــورَا ... وبهـــا يـــرمـــي الـــزجـــاجُ الحجـــرا

= حتى ظهور الإسلام .

(١) يعني : أنَّ الأمة الإسلامية تبقى بما في قلوبها من الوجد والهيام والإقدام على العمل وهذا العشق حياة العالم .

(٢) إن كنا في ضيق وغم منطوين ككم الزهرة فحياة هذه الروضة ، هذا العالم ، رهن بحياتنا إن متنا ماتت .

قطَّعَ الأشراكَ عن صيدٍ كسير ... فدعا الصَّيَّادُ منه بالثُّبورْ
ذا بلاغٌ آخِرٌ للمرسلين ... قد تلاه « رحمةٌ للعالمين »
ترفعُ الخاملَ فيه رفعةُ ... وتقيمُ الرأسَ منه سجدةُ
قاطعو الطرْقِ هداةً صُيِّروا ... من كتابٍ ، كم كتابٍ سَطَّروا
والبوادي منْ سراجٍ زَهَرا ... قد أضاؤوا بالعلومِ الفِكَرا[1]
الَّذي يُصدَعُ مِنْهُ الجبلُ ... وعلى الأفلاك منه وَجَلُ[2]
ذلك الينبوعُ منْ آمالنا ... قدْ حواه الصَّدْرُ منْ أطفالنا
انظُرِ الظمآنَ في حَرّ القفارْ ... عينُه حمراء منْ وَقْد النَّهار
عَنْسُه كالظَّبي في تَعْدائِها ... دمُها كالنَّارِ في رمضائها
طائفُ الصَّحراء يأبى الجُدُرا ... ضاربٌ في البيدِ يقلي الحضرا
خَفَقَتْ في قلبه هذي السُّوَرْ ... فاستقرَّ الموج فيه كالدُّرر[3]
قرأ الدرس مِنَ الآي المبينْ ... فغدا بالحقِّ حرّاً لا يَمين
حكمَ الدُّنيا جميعاً عدلُه ... عَرْشَ جمٍّ وطئته رجلُه[4]
مُدُناً قد شيَّدتْ هَبوتُه ... ورياضاً أنْبَتتْ زهرتُه[5]

* * *

إنَّ إيمانك في قيدِ الرُّسوم ... سننُ الكفرِ لكَ السِّجنُ المقيمْ
أمرُكم قطعتمُ فهو « زبُر » ... مُسرعي السَّيرَ إلى شيءٍ نُكُرْ[6]

---

(١) زهر السراج : أضاء .
(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .
(٣) سكن اضطرابه واطمأن ، موجه الثائر سكن واستقر كالدرة في الماء .
(٤) جم : جمشيد أحد ملوك الفرس القدماء .
(٥) الهبوة : الغبار الذي يثور في الحرب ، أو سير الأرجل الكثيرة ، ونحوها .
(٦) إشارة إلى الآيتين : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ [المؤمنون : ٥٣] و ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ

سَكِرَ الصُّوفيُّ من أحواله ... وانتشى باللَّحن مِنْ قوَّاله[1]
قلبهُ شعرَ العراقيِّ تلا ... ومن القرآن أقوى وخلا[2]
تاجه والعرش صوفٌ وحصيرْ ... فقره يَجبي رباطاً للفقيرْ[3]
وأخو الوعظِ جُزافاً قائلُ ... كلِمٌ عالٍ ، ومعنى سافِلُ
قولُه مِنْ ديلميٍّ وخطيبْ ... فعلُه حِلف ضعيفٍ وغريبْ[4]
لكتاب الله حقٌّ . فاقرأنْ ... كلَّ ما تبغيه منه فاطلبَنْ

* * *

في بيان أنَّ التقليد في زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد

عصرنا هذا مليءٌ بالفِتَن ... طبعُه خلقُ شرورٍ ومِحَنْ
محفلُ الماضين فيه مقفر ... صوَّحتْ فيه حياةٌ تنضُر
أنكرتْ أنفسَنا أنظارُنا ... وجَفَتْ نغمتَها أوتارُنا
شعلةُ التَّوحيد فينا سَلَبا ... نارَه والنُّور منَّا سَلبا
وإذا ما اعتلَّ تقويم الحياه ... فَمِنَ التقليدِ للقومِ نجاه
سُننُ الآباء حَبلُ الملَّة ... ومِنَ التقليد جمعُ الأمَّة
يا خليّاً في خريفٍ من ثَمرْ ... ارقب الغيث ولا تجفُ الشَّجر[5]

= ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر : ٦] .

(١) القوَّال : منشد القصائد الدينية ، وهو معروف بهذا الاسم في إيران والهند .

(٢) العراقي : شاعرٌ صوفيٌّ فارسيٌّ .

(٣) يعني : أنه يأخذ مالاً من الفقراء المقيمين في الأربطة .

(٤) الديلمي والخطيب من رواة حديث الضعفاء . والضعيف والغريب من أنواع الحديث . بين الشاعر أنهم تتبعوا المحدثين غير الثقات والأحاديث غير الصحيحة يستدلون على أقوالهم وأفعالهم .

(٥) يعني : يجب الاستمساك بسنن الآباء حتى تعود للأمة سيرتها . كما ينتظر صاحب =

قد حُرِمْتَ البحرَ فاذكر خُسرَكا ... يا قليلَ الماءِ واحفظْ نهركا[1]

فعسى سيلُ الجبالِ الهادرُ ... منه في مجراك لجٌّ زاخرُ

حالُ إسرائيلَ فيها تَبْصِرَه ... إنْ تكنْ روحُك روحاً مُبصره

انظرنْ كيف ابتلاها الزَّمنُ ... وَعَرتْها في الخطوب المِحَنُ

وجهُها في كلِّ حينٍ يُلطمُ ... كادَ في أعراقها يَفنى الدَّمُ

عصرتْ عنقودَها كفُّ الخُطوبْ ... ذكرُ هارون وموسى في القلوب

إنْ خبا في اللَّحن منها قبَسُ ... لم يزل في الصَّدر منها نفَسُ

سار في إثر الجدود المحملُ ... حينما انفضَّ لديها المَحفلُ

يا من انفض له جمعٌ وجاه ... وخبا في صدره شمعُ الحياه

آيةَ التوحيد في القلب اسطُرا ... ومنَ التقليد أمسك بالعُرا

اجتهادٌ في زمان القهقرى ... يذهبُ الأقوامَ منه شذرا

اقتداءٌ برسومِ الأوَّلين ... هو أولى ، لا اجتهاد الغافلين

لم يُصبْ آباؤنا بالهَوَسِ ... طهُرتْ أعمالُهم كالأنفُسِ

فكْرُهُم كان رقيقاً مرهَفا ... فعلهمُ أوفى بشرعِ المصطفى

فِكَرُ الرازي ونجوى جعفر ... أينَ ؟ والعُربُ هداةُ البشرِ

ضيَّق الدينُ علينا يسرَه ... وادَّعى كلٌّ لئيم سِرَّه

قد جهلت الدِّين عنه حائدا ... الْزَمَنْ يا حُرُّ نهجاً واحدا

باحَ لي بالسرِّ نبَّاضُ الحياه ... إنَّما في الخلف مقراضُ الحياه[2]

وحدةُ الشرع حياةُ الأمة ... فمن القرآن روحُ الملَّة

نحنُ طينٌ وهو قلبٌ لا جَرَمْ ... هو « حبلُ الله » من شاء اعتصَم

= الشجر أيام الخريف إيراقه وإثماره في الربيع ، ولا يقطعه أو يهمله .

(١) إن قلَّ الماء في نهرك فاحتفظ بالنهر عسى أن تأتيه السيول بالماء فيزخر مرةً أخرى .

(٢) كلمتا نبَّاض ومقراض في الأصل .

فانتظمْ في سلكه كالدُّررِ أو غباراً في الرِّياح انتثرِ

***

في بيان أنَّ كمال سيرة الأمَّة من اتِّباع الشَّرع الإلهي

لا تقلْ في الشرع معنًى مُضمرُ ليسَ إلَّا النورَ تحوي الدُّرَرُ
جوهرٌ أبدعَ فيهِ القادرُ جوهرٌ باطنه والظاهرُ
ليس علمُ الحقِّ غيرَ الشِّرْعة ليس غيرَ الحبِّ أصلُ السنَّة
شرعُنا للفرد مِرقاةُ اليقينْ ترتقي منه مقاماتُ اليقين[1]
شِرعةُ الحقِّ نظامُ الأمم ومن النَّظم دوام الأمم
إنَّ فيه الأيد يا من أخلَصا اليدُ البيضاءُ فيهِ والعصا
قامَ للإسلام بالشَّرعِ قوام بدؤه الشَّرعُ وبالشَّرع الختام
لكَ أيدِي نكتةَ الشَّرع المبين أنتَ مَن في حِكْمةِ الدِّين أمينْ :
إنْ يعارِض ذو عنادٍ مسلما في أداءِ النَّفل ما إنْ لزما
صارَ هذا النفلُ فرضُ الأمة فالحياةُ الحقُّ عينُ القدرة
وإذا جيشُ عدوٍّ في الوغى ترك الإعدادَ والسِّلمَ بَغى
وقضى أوقاتَه في الدَّعة تاركاً لِلْحَرْبِ أخذَ العُدَّة
فحرامٌ أخذه بالبغتة قَبْلَ أن يأخذ كلَّ الأهْبَةِ
سرُّ هذا الأمر يا ذا البصر : « الحياةُ العيشُ بين الخَطرِ »
يتحدَّاك برضوى العاليه في امتحانٍ لِقِواكَ العاتيه[2]
وينادِيك أن اقصمْ ظهرها وبحدِّ السيف فاصهرْ صخرها
ليس كفءَ الليث في صولته حمَلٌ يرجفُ في ذلَّته

---

(١) مرقاة اليقين ومقلمات اليقين في الأصل بلفظهما العربي .
(٢) في الأصل : جبل ألوند . واستبدلت به رضوى في الترجمة .

إنْ حكى الضَّعوةَ صقرٌ كاسِرُ ... فهْوَ كالضَّعوة واهٍ خائِرُ

كتبَ الشارعُ ربُّ الحكمة ... لكَ هذا اللوحَ ، لوحَ القُدْرَة

يَشْحذُ العزم بنارِ العمل ... ويرقِّيكَ لأعلى مَنْزِل

وإذا تَلْغَبُ يعطيك القُوى ... ويربِّي منك طوداً ما خَوى

إنَّ دين المصطفى دينُ الحياه ... شَرْعُه للنَّاس قانون الحياه

إنْ تكنْ أرضاً يصيِّركَ السَّماءْ ... ويربِّيك كما الحقُّ يشاءْ

يصقل المرآةَ مِنْ صخرٍ شديد ... وينقِّي الرَّينَ منْ قلبِ الحديدْ

ضيَّع القومُ شعارَ المصطفى ... ضيَّعوا رَمز بقاءٍ عُرِفا

ذلك الغصن العسِيُّ المعتلي ... مُسلمُ الصَّحراء ربُّ الجَمَلِ

الذي البطحاء أزكتْ غَرْسَهُ ... وريَاحُ البيد ربَّت نفسَه

أذْبَلتْهُ اليومَ ريحُ العَجم ... صيَّرته النايَ روحُ العَجَمِ

قاتلُ الآساد ذبحَ الغنم ... وطءُ نملٍ مسَّه بالألم

من أذابَ الصَّخرَ من تكبيره ... راعه البلبل في تصفيره

من علا الطودَ سريعاً مُصعِدا ... غلَّ بالتُّكلان رجلاً ويدا

من برى الأعناق ضرباً عَضبُه ... يَلْدِمُ الصَّدر ويَدمَىٰ قلبُه

مُوقظ الآفاق مِنْ خطْواتهِ ... قُيِّدت رجلاه في خَلْواته

منْ أطاع الناسُ طرّاً أمرَه ... واجتدى دارا وكسرى برَّه

رضي القُنع وأكدَى جِدُّه ... وارتضى الكِدْيةَ عِزّاً جَدُّه

شيخنا أحمدُ[1] منْ في قُرْبه ... تكسبُ الشَّمسُ سناً في قلبه

قال يوماً لمريدٍ فهمٍ ... احذرنْ يا صاح فكرَ العجمِ

فكرُهم إنْ كان للنّجم ارتقى ... فهْو منْ سُنتنا قد مرَقَا

---

(١) هو الشيخ أبو العباس أحمد الرفاعي ، صوفيٌّ عراقيٌّ من كبار الصوفية ، مؤسس الطريقة الرِّفاعية ، انضمَّ إليها خلقٌ كثيرٌ من الفقراء ، كان له به اعتقادٌ كبير ، توفي سنة (٥٧٧هـ) (١١٨٢م) .

يـا أخـي فـاسمـعْ لهـذا الـرَّشَـدِ استمـع نُصْـحَ الإمـام المُـرشِـد
وبهـذا الحـقِّ فـاشـدُد قلبكـا واتبـع العُـرْبَ تُصِـبْ شِـرعَتكـا

* * *

في بيان أنَّ حُسْنَ سيرة الأمَّة منَ التأدُّب بالآداب المحمَّدية

سـائـلٌ مثـل قضـاءٍ مُبْـرَم صـاحَ بـالبـابِ بصـوتٍ مُبـرِم[1]
بـالعصـا صُلـت عليـه غضبـا فهـوَى مـنْ يَـده مـا قشبـا[2]
إنَّ هـذا العقـلَ فـي شـرْخِ الشَّبـابْ لا يبـالـي بضـلالٍ وصـوابْ
ورأى الـوالـدُ فعلـي فنفـر وذوى فـي وجهـه روضُ الـزَّهـر
آهـةٌ فـي فمـه تلتهـب قلبُـه فـي صَـدْرِه يَضْطـرب
كـوكـبٌ فـي عينـه قـد ومضـا نـوَّر الهُـدبَ قليـلاً ومضـى[3]
روحـيَ الغـافـلُ فـي الجسـم ارتعـدْ ومضـى الصَّبـرُ وخـلاَّنـي الجلَـدْ
مثـلَ فـرْخٍ فـي الخـريـف انتفضـا مـنْ ريـاحِ اللَّيـل فـي العُـشِّ قضَـى
قـال لـي الـوالـد : يـومَ المحشـر تلتقـي أمَّـةُ خيـر البشـرِ
الغُـزاة الغـرُّ مـنْ أمَّتـه وأولـو الميـراث مـن حِكمتـه
والنجـومُ الـزُّهْـرُ أربـابُ الصَّفـاء حجـةُ الـدِّيـن فـريـقُ الشُّهـداءُ
وأولـو العلـم وأربـابُ القلـوب وأولـو الزُّهـد وأصحـاب الـذُّنـوب
وعـلا فـي لـجِّ هـذا المحشـر صـوتُ هـذا السـائـل المنكسـرِ

---

(١) وقعت هذه القصة في سيالكوت بلد إقبال وقصَّها على الناس كثيراً . ومبرم في آخر البيت بمعنى ممل .
(٢) قشب : جمع وكسب .
(٣) يعني دمعت عينه ، علق الدَّمع بأهدابه ثم سقط .

أيها الحائر في ذا الموكب ! ... ما جوابي حين يلحاني النَّبي :

« قد حباك الحقُّ طفلاً مسلما ... لم تُنلْه من كتابي مغنما

هيِّن الأشياء قد شقَّ عليك ... لم يَصِرْ ذا الطِّينُ إنساناً لديك[1] »

وأنا في العَتْب من خير الرُّسُلْ ... بين خوف ورجاء وخجَلْ

أفكِرنْ في الأمر واذكر يا بُنيّ ... أمةَ المختار إذ ترنو إليّ

لحيتي البيضاء في الحشر انظرِ ... رِعدتي في الخوف والحزن اذكرِ

لا تزد عبء أبيك الوَهنِ ... عند مولاي غداً لا تُخزِني

أنت كِمٌّ في فروع المصطَفى ... فتفتَّح في ربيع المصطفى

نظرةً من روضهِ فالتمسِ ... وسناً من خُلْقه فاقتبسِ

مرشدُ الرُّوم الذي قطرتُه ... قد حوت بحراً ، سَمَتْ قولته :[2]

« لا تجذَّ الحبل من خير البشرْ ... لا تقل عندي فنون وبَصر »

فطرةُ المسلم طرّاً رأفةُ ... قوله والفعل كلٌّ رحمةُ

العظيمُ الخُلْق منْ شقَّ القمر ... رحمةٌ عمَّت ونُورٌ للبشر

لستَ منْ معشَرنا فاعتزلِ ... إنْ تكنْ منه بعيدَ المنزلِ

طائرٌ أنت على دَوْحتنا ... شدْوُه واللَّحنُ منْ نغمتنا

إنْ تكنْ ذا نغمةٍ لا تُفرد ... بسوى بستاننا لا تُغْردِ[3]

كلُّ من أوتي حظّاً منْ حياه ... في سوى بيئته يلقى رداه

بلبلٌ أنتَ ؟ ففي الرَّوض امرَح ... ومع السِّرْب بلحن فاصدَحِ

إنْ تكنْ صقراً فلا تغشَ البحَارْ ... ليس إلا خلوةَ الصَّحراء دار[4]

---

(١) هذا قول النبي لوالد إقبال في المحشر .

(٢) جلال الدين الرومي . وما بين القوسين من ديوانه المثنوي .

(٣) أغرد : أطرب بالتغريد .

(٤) الصقر يعيش في الصحراء ، والبلبل بين الأشجار فليلزم كل بيئته .

أو تكـن نجمـاً فنـوِّر فـي سَمـاك لا يكـنْ مَسـراك إلا فـي الحِبـاك

* * *

قطـرَ نيسـانَ اجمعـنْ إنْ تـردِ واجعلنْ في الروض مأواه النَّدِي[1]
لتـراهُ مثـلَ قطـراتِ النَّـدى تحضـنُ الأكمـامُ منهـا ولـدا
وانشِـف الأنـداء مـنْ جـوهـرها واسلـبِ الـلألاء مـنْ عنصـرها
بشُعـاعِ الصُّبْـحِ وضَّـاء البُكـر الـذي مـن سحـره ينمـو الـزَّهَـر[2]
لـن تـرى دُرَّك إلا كـالحبَـاب لـنْ تـرى سَعْيَـكَ إلا فـي سـرابْ
ألقِهـا فـي اليـمّ تُعْقَـدْ جـوهـرا مـاؤهـا يسطـعُ نجمـاً نيِّـرا
قطـرُ نيسـان عـن اليـمِّ نـأى لجفـافٍ . لـن تـراه لـؤلـؤا

* * *

طينـةُ المسلـم درٌّ يـا بُنـيّ مـاؤهـا والنُّـورُ مـنْ بحـر النَّبـيّ
قطـرَ نيسـان ! فغُـصْ فـي مـوجـه وابـرزنْ ، درّاً صَفَـا ، مـن لجـه
صاح ! من شمس الضُّحى كن أنورا كـن ضيـاءً ليـس يخبـو الـدَّهَـرا

* * *

في بيان أنَّ حياة الأمَّة تحتاج إلى مركزٍ محسوس وأنَّ مركز الأمَّة الإسلاميَّة البيت الحرام

عقـدةٌ تنحـلُّ مـنْ أمـر الحيـاه حين أفشي لكَ منْ سرِّ الحياه :
كخيـالٍ جَفَلَـتْ مـن نفسهـا حُـرَّةٌ قـد نفـرت مـن حبسهـا[3]

---

(١) مطر شهر نيسان الذي ينشأ منه اللؤلؤ في ظن القدماء .
(٢) متصل بالبيت الذي قبله ؛ أي : انشف الماء بشعاع الصبح .
(٣) الأوصاف في هذا البيت وما بعده أوصاف الحياة .

وقتُها ما فيه أمسٌ وغدُ ... في دُنَى الأوقات ليست تُصْفَدُ
أنظرنْ نفسَك حيناً واعتبرْ ... لستَ إلَّا جَوَلاناً يستمرّ
شعلةٌ فيها أعدَّت سِتْرها ... منْ دخانٍ فأشاعت سرَّها
ماؤُها قد عقدته في دُررْ ... ليُرى السَّيرُ سكوناً في النَّظر
نارُها في نفسها تُخفي الحريق ... وتُرَى في الغُصْن أزهارَ الشقيق[1]
فكرُك العاجزُ عنها أوهِما ... طيرانَ اللَّون وَرداً جُسِّما[2]
ما أوى للعُشِّ هذا الطائرُ ... هو طيْرٌ وهْو لون طائر[3]
هو حرٌّ وحواه مَحبِسُ ... وهو في النَّوح لحوناً يَنبُس[4]
ريشُه ينسلُ طيراً كلَّ حينْ ... يخلقُ الأسبابَ منه كلَّ حين
عُقداً تعقد في أعمالها ... وتحلُّ العقد في تجوالها
تسكنُ الطِّين على إسراعها ... لتزيد السَّير في إهطاعها[5]
كم لحونٍ في جواها رُقِّدِ ... يومُها ميلادُ أمسٍ وغدِ
في سهولٍ كلَّ حينٍ وحزونْ ... كلَّ حين في اختراعٍ وفنون
إنْ تكنْ كالرِّيح تأبى محبسا ... تنزلُ الصَّدر فتُدعى نَفَسا
حولَها منْ خيطها ناسجة ... حولَها مِنْ خيطها عاقدة
هي في العُقْدة مثلُ الحبَّة ... مضمرٌ فيها فروعُ الدَّوحةِ
تفتحُ العَيْنَ على ما تُضمر ... فإذا الدَّوحة منها تَظهر

---

(١) نار الحياة تخفي حرها ، وتظهر أعراضها في مظاهرها . ومثل الشاعر بأزهار الشقيق التي جعلها الشعراء مثلاً للالتهاب .

(٢) الحياة حركةٌ دائمة يتوهمها الإنسان ثابتة . يقول إقبال : الفكر العاجز عن إدراك الحياة يرى جسماً يسميه ورداً وليس هو في الحق إلا لوناً في طيران مستمر .

(٣) الطير : الطيران . والحياة طيران ولون طائر . لا ثبات لها ، ولا تستقر في عش .

(٤) الحياة مقيدة بأشكال وهي في الحقيقة لا تحويها هذه الأشكال . ونوحها وغناؤها متصلان .

(٥) تضع نفسها في الطين (تزرع وتغرس) لا لتسكن فيه بل تزيد إسراعاً في سيرها .

خلعةُ الطِّين عليها تُرفَد ... فإذا عينٌ وقلبٌ ويدُ[1]

تؤثر الخلوةَ في الجسم الحياه ... وتجلَّى نشأةَ العمِّ الحياه[2]

هكذا سنَّة ميلاد الأمم ... مركزٌ فيه حياةٌ تنتظم[3]

إنَّما المركز روحُ الدائرة ... نقطةٌ ، فيها محيطٌ ، ضامره

ومِنَ المركزِ للقوم نِظام ... وَمِنَ المركز لِلْقَوْم دوام

نقطة المركز منَّا الحَرمُ ... لحنُنا والوجدُ فينا الحرمُ

نفَسٌ في صَدْرِنا يتَّقد ... روحنا الغالي ، ونحن الجسد

مِنْ نداه نَضَرت أغصاننا ... حَيَّ من زمزمه بستانُنا

نحنُ مِنْ دعواه في الدنيا دليل ... نحنُ فيه من براهين الخليلْ[4]

صوتنا يندَى به في الأمم ... واصلاً مُحدَثَنا بالقدمِ

وحَّد الملَّة طوفٌ حوله ... فهي صُبح قد حوى صدرٌ له

وُحِّدتْ في حَسْبه كثرتُنا ... أُحكِمتْ منْ وحدةٍ قوتُنا[5]

إنَّ في الجمع حياةَ الأممِ ... إنَّ هذا الجمع سرُّ الحرَم

* * *

أيُّها المسلمُ يا ذا البَصر ! ... قومُ موسى عبرةٌ فاعتبرِ

زهدوا في مركزٍ قد جمَّعا ... فتراهم في البرايا قطعا[6]

يا عليلاً شاكياً جورَ الزَّمن ... يا أسيراً غَلَّه وهم وظنّ

---

(١) الحياة تلبس الطين فتراها حيواناً له عين . . إلخ .

(٢) العمّ : الجماعة الكثيرة .

(٣) تولد الأمة حين تجمع الحياة في مركز معين ، في شريعة ، أو قانون ، أو مقصد .

(٤) الخليل : إبراهيم . نحن الدليل على صدق ما يدعي للحرم من أنه يجمع الناس ، ويكون مركز الأمة . ونحن برهان على تحقيق ما أمله الخليل في الحرم .

(٥) في حساب الحرم كثرتنا وحدة . وبهذه الوحدة تستحكم قوتنا .

(٦) حذفت هنا أبيات في وصف اليهود .

اجعلن ثوبك ثوب المحرِم ... أطلِع الصُّبحَ بليلٍ مُظلم
افنَ كالآباء ما بين السجود ... اسجدنْ حتى تُرى عينَ السجود[1]
من خشوع المسلمين الأولين ... سيطروا بالحقِّ بين العالمين
في سبيل الحقِّ شوكاً وطئوا ... فإذا الروضةُ هذا الموطأُ

***

في بيان أنَّ الاجتماع الحقيقي من الاستمساك بمقصد ، ومقصد الأمَّة الإسلاميَّة حفظُ التَّوحيدِ ونشرُه

اعرفنْ عنِّي لسانَ الكائناتْ ... ففعالُ الكون فيها كلمات
ينظمُ المقصدُ أشتاتَ الحياه ... فتراها « مطلعاً » راع الرواه[2]
طِرفُنا من تحت مهمازِ الطَّلبْ ... صرصرٌ ما ندَّ عنه من أربْ
إنما يُبقي الحياةَ المقصدُ ... هو أشتات قُواها يَنضِدُ
حينما تدري الحياةُ المطلبا ... تجعل الكونَ إليه سببا
وبه الأشياءُ طرَّاً تنقُد ... فتردَّ الشيء أو تعتقد[3]
يُبحر الرُّبان أجلَ الساحلِ ... وإلى المنزل سَيرُ السَّابل
وعلى قلبِ الفراش الحُرَقُ ... لسراج حوله يحترقُ[4]
طاف قيسٌ في الصحارى ولَها ... قاصداً ليلاه يرجو وَصْلها
ما اقتفينا في الصَّحارى أثرا ... مُنذ ليلانا أقامت في القُرى

---

(١) السجود الأول جمع ساجد .
(٢) المطلع هنا مطلع القصيدة .
(٣) اعتقد المال : اقتناه . إذا عرف الإنسان مقصده نقد به الأشياء ، فرد بعضها ، وأخذ بعضها .
(٤) يذكر أمثلة من المقاصد : الساحل للسائر في البحر ، والمنزل للسائر في البر ، والاحتراق للفراش ، وليل لقبس .

إنما المقصودُ روحُ العملِ ... كيفَه والكمَّ منه تجتلي[1]

دوَران الدَّم في أعراقنا ... مسرعٌ بالجدِّ في أغراضنا

الحياةُ الحقُّ منه تستعِرْ ... تجمع النَّار به مثلَ الشَّقِرْ[2]

هو مضرابٌ لعُودِ الهمَّة ... مركزٌ يَجذبُ كلَّ القوَّةِ

حرَّك الأعضاء في ركب البشر ... جامعاً شتَّى عيونٍ في نظر[3]

فكنِ المجنونَ في هذا الحبيبْ ... طُفْ به طوف فراشٍ باللهيبْ

أبدعَ القميُّ فيما أسمعا ... علَّم الأوتار معنىً مُبدَعا[4]

رامَ نَقْشَ الشَّوك حيناً رَجِلُ ... فاختفى عن ناظريه المحمَل

لحظةً يا صاحبي إن تغفُلِ ... ألفَ ميلٍ زاد بُعدُ المنزلِ

ذاكمُ العالَمُ دَيرٌ قدُما ... بامتزاج الأمَّهاتِ انتظما[5]

كم وكَم يُنبت من مقصبةٍ ... ليراعٍ فيه نار النَّوحةِ

كم تدمَّت من يديه روضةُ ... لتربَّى مِنْ شقيقٍ زهرةُ[6]

كم تُرى نقشاً وكم تمحو يداه ... ليُرَى نقشُك في لوحِ الحياه

كم من الأرواح بُثَّت أنَّةُ ... لتَعالَى من أذانٍ نغمةُ[7]

---

(١) يتبين للعمل كيفه وكمه من مقصوده .

(٢) الشقر : الشقائق . والضمير يعود إلى المقصود الحياة تستعر به . وتجمع في نفسها ناراً كما تجمع الشقائق النار ، في خيال الشعراء .

(٣) يجمع الأعين المختلفة على نظر واحد .

(٤) القمي : ملك القمي الشاعر . والإشارة إلى بيت له معناه .
« ذهبت لأنقش الشوك من قدمي فاختفى المحمل عن عيني . غفلت لحظة فبعدت طريقي مئة سنة » .

(٥) امتزاج الأمهات اختلاط العناصر . والتركيب بلفظه العربي في الأصل .

(٦) هذا البيت والذي قبله بيت واحد في الأصل . والمعنى أنَّ التكمل في العالم شاقٌّ أليمٌ ينبت غابات من أجل نغمة ناي ويخرب روضات من أجل زهرة ، وقد تقدَّم هذا أول الكتاب .

(٧) تعالى : تتعالى .

ورجالَ الزور دهراً ربَّبا ... وعلى الأحرار والَى الحَرَبا
ثَمَّ في طينك إيماناً بذر ... كِلْمةَ التوحيد من فيك نَشَرْ
نقطةٌ دارَ عليها العالَمُ ... كلمةٌ صار إليها العالَم
قوةٌ فيها تُدير الفَلَكا ... وبها الشمسُ تُنيرُ الحَلكا
لؤلؤ البحر نمى منْ نورها ... به الموجُ طما منْ نورها
نَفحُها صيَّر طيناً سنبُلا ... وَجدُها صيَّر ريشاً بلبلا[1]
في عروقِ الكَرْمِ منها شُعلة ... وبطين الكأس منها لمعةُ
لحنها في مِزْهَر الكَون استتر ... أيها العازفُ! يدعوك الوتَر
نغماتٌ فيك تَسري كالدَّمِ ... أعملِ المضرابَ في ذا النغَم
كِلْمةُ التَّوحيد منك المقصدُ ... أنت للتكبير فيها توجَدُ[2]
الجهاد المرُّ حِلفُ المسلم ... أو يُدوِّي الحقُّ بينَ الأمم
أنتَ لا تدري بآيات الكتابْ ... أمةَ العَدْل يسمِّينا الخطاب
أنتَ في الأيام نورٌ وبصرْ ... شاهدٌ أنتَ على كلِّ البشر[3]
ادعوَنْ كلَّ لبيبٍ ، أبلغِ ... وعن الأمّيِّ قولًا بلِّغ
قوله ما فيه نُطقٌ عنْ هوَى ... صادقٌ ما ضلَّ يوماً أو غوى[4]
نبْضَ هذا الكون قد جسَّت يداه ... فتجلَّى سرُّ تقويم الحياه
نضَّرَ الأزهار في رَوض الدَّهَر ... ومحا الأدناسَ عنها والكدَرْ
دينُه فيه الحياةُ الخالده ... لا تراها عنْ هُداهُ حائده
أيها التالي الكتابِ المنزَل ... شمِّرنْ ، لا تقعُدنْ عنْ عملِ

---

(١) السنبل : نبات طيب الرائحة .

(٢) فيها : في الدنيا .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

(٤) إشارة إلى الآيات : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم : ١ ـ ٣] .

يعشق الأصنامَ عقلُ الأمم ... ناحتٌ أو عابدٌ للصَّنم
هو أحيا سُنّةً من آزرا ... محدِثاً فيها إلهاً للورىٰ
اسمه لونٌ ودارٌ ونسب ... هو من سفك دماء في طربْ[1]
وعَلَى أقدام هذا الصَّنمِ ... ذُبحَ الإنسانُ ذَبْحَ الغنمِ
أيها الشاربُ من كاس الخليلْ ! ... يا حميَّ النفْس من طاس الخليل !
سيفَ « لا موجود إلا هوْ » خُذِ ... وبه الأصنام هذي فاجذُذِ
في ظلام الدَّهر أشرِق للملا ... وانشرنْ حقّاً عليكَ اكتملا[2]
خجلتَا لك في اليوم العسيرْ ... حينما يسألك الهادي البشيرْ :
قد أخذت الحقَّ عنِّي ما دهاك ... لم تبلِّغه بحقٍّ لسواك !

* * *

في بيان أنَّ توسيع حياة الأمَّة بتسخير قوى العالَم

مؤمناً بالغيبِ غير الغافل ... كارهاً كالسَّيل قيدَ السَّاحل!
اعلُ عن ذا الطِّين غصناً ناضرا ... وصِلِ الغائبَ واغزُ الحاضرا
ذلك الحاضرُ تفسير الغيوبْ ... وهو مفتاحٌ لتسخير الغُيوبْ
ما سوى اللهِ لتسخيرِ العملْ ... صَدرُه للرَّمي ، فاقذِف لا تُبَلْ
ما سوى اللهِ تراه يُخلق ... لترى سهمَك فيه يمرُق[3]
عقدةٌ تلقاك بَعْدَ العُقدةِ ... ليُرَى في الحلّ لُطفُ الحيلة
فسِّرَنْ يا كِمُّ ! روضاً نفسكا ... سخِّرَنْ يا طلُّ ! ذي الشمس لكا
من يسخِّر عالَم الحسِّ سما ... ومن الذَّرَّة يُخرجْ عالَما

---

(١) يعبد الناس في هذا العصر عصبية الأنساب والأوطان ، فيسفكون الدماء .
(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] .
(٣) في الأبيات المتقدمة دعوة إلى تسخير عالم الحس ، وبيان أنَّ هذا التسخير يؤدي إلى معرفة عالم الغيب .

كلُّ ما في الكون من بحرٍ وبرّ ... لوحُ تعليمٍ لأربابِ النَّظر
أيُّها النائمُ طالت غفلتهْ ... عالَم الحسِّ جفته همَّتُهْ
قُمْ وفتِّح بصراً قد سُكِّرَا ... لا تحقِّر عالَماً قد حُقِّرا
إنَّه توسيعُ ذاتِ المسلم ... وامتحانٌ لصفاتِ المسلِم
هو يبلوك بسَيف الزَّمنِ ... لترى أنَّ دماً في البدَن
اضربِ الصَّدر بقهر القوَّةِ ... اختبرْ عظمَك في ذي الصَّدمة
جعل الحقُّ الدُّنَى للخيِّرين ... وجلاها لعيون المؤمنين
هذه الدُّنيا طريقُ الظَّعَنِ ... هذه الدُّنيا محكُّ المؤمنِ
فأسِرَنْها قبلَ أن تأسركا ... لا تُضِعْ في جوفها جوهرَكا
أدهِمُ الفكر الذي يطوي الفضاء ... والذي يجتازُ آفاقَ السَّماء
ساقَه في الكونِ حاجاتُ الحياه ... فهو في الأرض وفي النَّجم خُطاه
يبتغي في الكون تسخير القوى ... لتُرى فيه بأعلَى مُسْتوى
نائبُ الحقِّ ، بحقِّ آدمُ ... حكمه في الأرض ماضٍ حاكِم[1]
لكَ منْ ضيقكَ ، منها سعةٌ ... ولأعمالك فيها فسحةٌ
صهوةَ الرِّيحِ اعلُوَنْها آمرا ... ألْجمَنْ هذا الجوادَ النَّافرا
شقَّ قلب الطَّوْدِ عن جوهره ... شقَّ موجَ البحر عن درٍّ به
ألفُ كون في فضاء تُكفَتُ ... رُبَّ شمسٍ قد حوتها ذرَّةُ
بشعاعٍ أظهرنْ ما احتجبا ... واكشفَنْ عنْ كلِّ سرٍّ حُجِبا
من شُعاع الشَّمس ناراً فاقبِسِ ... ومنَ السَّيلِ بروقاً فاخلِسِ[2]
ثابتُ الأنجم أو سيَّارُها ... التي قد عُبدتْ أنوارُها
كلُّها يا صاحِ عُبدانٌ لكا ... وإماءٌ سُخِّرتْ من أجلِكا
سيِّرنْ فكرك فيها عسَسا ... سخِّرن آفاقها والأنفُسا

---

(١) يعني أنَّ الإنسان خليفة الله في الأرض بالحقِّ ، وحكمه فيها نافذ .

(٢) استخرج الكهرباء من سيل الماء .

افتـــح العيـــنَ وأنعِـــمْ نظَـــرا ... أبصـرن فـي الـراح معنـىً مُضمَـرا
كـــم ضعيـــفٍ فـــي قـــويٍّ أمَـــرَا ... حيـن فـي الكـون أجـال البصـرا
أيُّها المقصود من أمرِ ﴿ انظروا ﴾ ... كيـف فـي آفـاقهـا لا تنظـر ؟[1]
قطـــرةٌ مـــن نفسِهـــا ذاتُ خَبَـــرْ ... خمرةٌ في الكرم ، طلٌّ في الزَّهَر
وهـي فـي البحـر تـراهـا جـوهـرا ... جـوهـراً كـالنَّجـم فـي الليـل سـرى
كـالصَّبـا لا تهـفُ حـولَ الصُّـوَرِ ... اطلبـنْ فـي الـروض معنـى الـزَّهَـرِ
دون مضـــرابٍ لحـــونـــاً سيِّـــرا ... ومـــن الأحـــرف طيْـــراً طيِّـــرا[2]
أيُّهـا الظَّـالـع فـي حَـزْنِ الحيـاه ... أيُّهـا الغـافـل عـنْ طعـنِ الحيـاة
بلِّـغ السَّعـيُ الـرفـاقَ المنـزلا ... أنـزَلـوا ليلـى وحَطّـوا المحمـلا
وبقيـــتَ اليـــوم قيســـاً مبلســـا ... فـي الصحـارى عـاجـزاً مستيئسـا
« علَّـمَ الأسمـاءَ » فخـرُ الآدمـيّ[3] ... حكمـةُ الأشيـاء نصـرُ الآدمـيّ

* * *

في بيان أنَّ كمال حياة الأمَّة أن تشعر بنفسها كالأفراد وأنَّ توليد هذا الشعور وتكميله ، من الاحتفاظ بسنن الأمَّة ورواياتها

أرأيـــتَ الطفـــلَ يـــا ذا البَصَـــرِ ! ... مـــا لـــه عـــنْ نفســـهِ مـــن خبـــرِ
ليـس يـدري مـا قـريـبٌ وبَعيـدْ ... كـــرةَ النَّجـــم بكفَّيـــه يـــريـــد
مـا سـوى الأمِّ يـرى منـه الجفـاءْ ... همُّـــه أكـــلٌ ونـــومٌ وبكـــاء
ليـس تـدري أذنُـه مـا النغمـةُ ... لحنُـــه ثـــورتُـــه والضجَّـــةُ

---

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠١] .
(٢) إشارة إلى آلات البرق ، والهاتف ونحوها .
(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] .

فكـــره غُفـــلٌ ضعيـــفُ الأثـــرِ ... قـــولُـــه فيـــه صفـــاءُ الجـــوهـــرِ
ليـــس فـــي تفكيـــره إلا الســـؤالْ ... أين ؟ أنَّى ؟ ومتى ؟ في كلِّ حال
كـــلُّ نقـــشٍ عنـــده ينطبـــعُ ... وهـــو كـــلٌّ غيـــرَه يتَّبـــع
عينـــه إمَّـــا بكـــفٍّ تُطبـــق ... تتنـــزَّى روحُـــه فـــي قلَـــقِ
فِكْـــرُه فـــي الجـــوِّ واهٍ حـــذرُ ... كصُقَيـــرٍ لاصطيـــادٍ يُجبـــرُ
خلـف صيـدٍ فـي حِـذَار يُـرسلُـه ... ثُـمَّ يـدعـوه إليـه يُعجلـه[1]
ثـــم غشَّـــاه لهيـــبُ الفِكَـــرِ ... فـرَمَـى خُـذروفُـه بـالشَّـرر[2]
فتـــراه عينُـــه مُسْتعلنـــا ... فيـدقُّ الصَّـدر يعنـي : هـا أنـا[3]
ومـــنَ الـــذِّكـــرى ينمِّـــي نفسَـــه ... غـــدَه يـــربـــطُ فيـــه أمسَـــه
ينظـمُ الأيـامَ خيـطُ الـذَّهـبِ ... نسَـــقَ الـــدرُّ بسمـــطٍ مُعجِـــب
جسمـه يُـرمِـي ويُكـري قـائـلا : ... مثـل مـا كنـتُ أرانـي مـاثـلا[4]
« أنـا » هـذي بـدءُ مقصـود الحيـاه ... اليقظـــة فـــي عـــود الحيـــاه
مثَـــلُ الأمَّـــة حيـــن النَّشـــأةِ ... مثـــلُ الطِّفـــل ضعيـــفَ المُنَّـــة
هـــي طفـــلٌ نفسَـــه لا يعـــرفُ ... جـوهـرٌ غشَّـى عليـه الصَّـدَفُ
يـومُـه بـالغـدِ لـم يـوصـلْ ولا ... بصبـــاحٍ ومســـاءٍ سُلســـلا
وبعيْـــنِ الكـــون إنســـانـــاً يُـــرَى ... كـــلَّ شـــيءٍ مـــا عـــداه أبصـــرا[5]

---

(١) كالصقر الصغير الذي يُعلَّم الصيد ، يتلطف صاحبه في إطلاقه وراء الصيد ودعوته إلى الرجوع .

(٢) ثم يعلق التفكير به فيرمي فكره بشرر كما تدار جمرة النار في خذروف فيتطاير منها الشرر . وفي الأصل « زرجك » وهي لعبة يديرها الصبيان يتطاير منها الشرر . والخذروف قرص يدار بخيط فيسمع له دويّ .

(٣) يدرك الطفل نفسه فيعني بها ويقول ها أنا . وكان يرى غيره لا نفسه .

(٤) يرمي ويكري : يزيد وينقص . يشعر الإنسان بأنه مع تغير جسمه لا تتغير ذاته .

(٥) هي في الكون كإنسان العين يرى كلَّ شيء إلا نفسه ، فهي تقلد وتتبع ولا تعتمد على نفسها .

بَعْـدَ لأيٍ طَـرَفُ الخيـط بـدا ... بعـد مـا حلَّـت يـداهـا العُقـدا[1]

فـإذا رازَ قُـواهـا الـدَّهْـرُ ... يتجلَّـى ذا الشعـورُ المضمـرُ[2]

أسطـراً تمحـو ، وأخـرى تسطُـر ... صفحـاتٍ بيـديهـا تَـزبـرُ

يُبلِـس الفـردُ إذا مـا انتثـرا ... عِقْـدُ أيـامٍ عليـه قُـدِّرا

نـورُ قـومٍ مـن مـداد السِّيَـر ... نفسَـه يعـرفُهـا بـالـذِّكَـر

أمـةٌ قـد نسيَـت سيـرتَهـا ... ينسـخُ الـدَّهـرُ غـداً آيتهـا

أنـت سفْـرٌ كتبتـه السِّيـرةُ ... خَيْطُـه أيـامُـك الموصـولـةُ

ثـوبنـا أيـامُنـا فـي الـزَّمـن ... وخيـاطُ الثَّـوب حفـظُ السُّنـن[3]

مـا تـرى يـا غِـرُّ تـاريـخ البَشَـرْ ؟ ... قصـةٌ ! أسطـورة ؟ لَهـو سَمَـر ؟

فـي سَنـاه أنـت بـالنفـس بصيـرْ ... فـي هـداه أنـت بـالسَّيْـر خبيـرْ

إنَّـه أعصـابُ جسـمِ الأمَّـة ... إنَّـه فـي الـروح مثـلُ الشُّعلـةِ

هـو يجلـوك كسيـفٍ مخـذَمِ ... ثـمَّ يـرمـي بـك بيـن الأمـم

أيُّ عـودٍ ذي فنـون تسحَـر ! ... نغمـاتُ الأمـس فيـه تُـؤثَـر

خـامـدُ الشُّعلـة ، فيـه يُشْعـلُ ... يـومُـه لـلأمـس فيـه مـاثِـلُ

شمعـه كـوكـبُ بختِ الأمـم ... وسنـا اليـوم وأمـسِ المظلـم

عينـه تُبصـرُ مـا قـد عَبَـرا ... وتُـرى المـاضـيَ حيَّـاً مُحضَـرا

وعتيـقُ الـرَّاح فـي كـاسـاتـه ... وخُمـارُ الأمـس فـي نَشْـواتـهِ

صـائـدٌ يَـرجـعُ فـي أشـراكنـا ... طـائـراً قـد طـار مـن بستـاننـا

فـاذكـر التـاريـخَ واستحكِـمْ بـه ... عِـشْ بـأنفـاسٍ مضـت ، فـي طبِّـه

أحكِمـنْ وُصْلـةَ يـومٍ وغـدِ ... والحيـاةُ امـضِ بهـا طـوعَ اليـدِ

---

(١) تكون كالذي معه خيط معقد يحل عقده حتى يجد طرف الخيط فيمكنه الانتفاع به .

(٢) راز الإنسان الشيء : حاول رفعه ليعرف ثقله .

(٣) الخياط : الإبرة .

وقـــدِ الأيـــام قَســـراً بمِهـــازْ أو فعِـش أعمـى بليـلٍ ونهـازْ[1]
صاحِ ! منْ ماضيك تبدو حالُكا ومـنَ الحـال بـدا استقبـالُكـا
إن تُـرِدْ خُلْـدَ حيـاةٍ فصِـلِ مـا مضـى بـالحـالِ والمستقبَـلِ

* * *

في بيان أنَّ بقاء نوع الإنسان بالأمومة ، وأنَّ حفظ الأمومة واحترامها منْ أصول الإسلام

نغَمـاتُ المـرءِ عَـزْفُ المـرأةِ هـو مـن محنتهـا فـي عـزَّة
كسـت الـذُّكـرانَ ربَّـاتُ الحجـالْ إنَّ ثوب العِشْق من نَسجِ الجَمال[2]
عَشَـقُ الحـقِّ رَبـاهُ حِجـرُهـا ذلـك اللحـنُ حـواه صـدرُهـا
الـذي قـدْ بهَـر الكـونَ سَنـاه قـرَن الطيـبَ إليهـا والصَّـلاه[3]
جهـلَ القـرآنَ جَهـلاً مُسلـمُ قـد رآهـا أمـةً لا تُعْظـمُ
إنَّمـا الأمُّ علينـا رحمـةُ وإلـى الـرُّسْـل لـديهـا نسبـةُ
رأفـةُ المـرسَـل فـي رأفتهـا سيـرُ الأقـوامِ مـن صنعتِهـا
ومـن الأمِّ علـتْ أقـدارُنـا وبِسيمـاهـا بـدا مِقـدارنـا[4]
لفظـة الأمَّـة فيهـا نُكـتُ أتُـرى فكـركَ فيهـا يَثبـتُ ؟
إنمـا الأمـة مـنْ وصـل الـرحِـمْ دونـه أمـرُ حيـاة لا يتـمّ
قـال خيـر الخلـق ، وهـو الحجـةُ : تحـت رِجـل الأمّهـاتِ الجنَّـةُ

---

(١) المهار : الزمام .
(٢) إكبارالرجل المرأة وحبها يدعوانه إلى الإقدام والعمل ، وكذلك تهديه المرأة وتلهمه .
(٣) إشارة إلى الأثر : حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرة عيني في الصلاة .
(٤) المقدار هنا القدر ، أي مستقبل الناس مكتوبٌ في سيما الأم .

كُشفت بالأمِّ أسرارُ الحياه ... بخلال الأمِّ تَسيارُ الحياه
وبها في نهرنا يعلو العُبابْ ... ويدوم الموج فيه والحَبابْ

* * *

هذه الغِرّة بنتُ القرية ... عَبلةُ الجِسْم وغُفْل السِّحنة
حيَّة العَيْن ، كَهامُ المِقوَل ... دون تعليمٍ وصقلِ الصيقل[1]
ألَم الأمّ عليها يثقُل ... وجهُها يُعربُ عما تَحمِلُ
أمرنا يُحكَمُ من آلامها ... صبحُنا يشرق من إظلامها[2]
إنْ تَهبْ من حِجرها للأمَّةِ ... مسلماً حقّاً عظيم النَّجدةِ
والتي رقَّت وخفَّت مَحمِلا ... باطنُ المرأة فيه عُطِّلا[3]
شعَّ نور الغَرب في فكرتها ... وتُرى الثورةُ في مقلتها
قطَّعتْ أوصال هذي الأمَّةِ ... حين طاشت عينُها بالنَّظرةِ
إنَّ حرِّيتها أصلُ البلاء ... إنَّ حرِّيتَها فقدُ الحياءْ
ليلها ما ضاء فيه نجمُها ... لم يطق أعباء أمٍّ علمُها[4]
ليتها لم تَنْمُ في روضتنا ... ليتها تُغْسَلُ منْ حُلَّتنا

* * *

أنجمُ التَّوحيد في غيبِ الأبدْ ... مضمراتٌ ليس يحصيها عَددْ
لم تُسَيَّبْ بَعْدُ من قَيد العدَم ... لم تُقيَّد بعدُ في كيفٍ وكمّْ
جَلَواتٌ في دجانا تُضمَر ... في ظلام الكون عنَّا تستترُ
قطراتٌ لم تَزِنْ زهرَ الرُّبى ... وزهورٌ لم تفتِّحها الصَّبا

---

(١) كهام المقول : عيية اللسان . عينها خفرة ، ولسانها قليل الكلام .
(٢) تعاني الظلام في أيامها ليشرق صبحنا : أي نسعد بشقائها .
(٣) صدفت عن الحمل والوضع .
(٤) لم يضيء في ليلها نجم : لم يولد لها ولد .

إنما تنبتُ هذي الزهَراتْ ... ناضراتٌ في رياض الأمهات
أيها العاقلُ ! مالُ الأمَّة ... ليس من عِقيانها والفضَّةِ
إنَّه أولادها مِلءُ الأمل ... في ذَكاءٍ ونشاطٍ وعَملْ
تحفظ الأمُّ إخاء الأمَّة ... وقُوى قرآننا والمِلَّة

***

في بيان أنَّ سيِّدة النِّساء فاطمة الزهراء أسوةٌ كاملةٌ للنِّساء المسلمات

أمُّ عيسى نسبةٌ واحدةُ ... بثلاثٍ تزدهي فاطمةُ :
قرَّة العين لخير الأوَّلين ، ... خاتمِ الرُّسْلِ ، وخيرِ الآخِرين
نافخُ الرَّوح بدنيا الوَهَنِ ... خالقُ العَصْرِ جديدِ السُّنَن
وهي زوجُ المرتضى ذا البطلِ ... أسدِ اللهِ الحكيمِ الفيْصلِ
ملكٌ في الكوخ زهداً قد أقام ... كلُّ ما يملك درعٌ وحُسامْ
وهي أمُّ السَّيدينِ الأكرمَين ... حسنٍ خيرِ حليمٍ وحُسَين
ذا سراجٌ في ظَلامِ الحرَمِ ... حافظٌ وَحْدَة خيرِ الأمم
ازدرى الملكَ ابتغاء الألفةِ ... أطفأ النِّيرانَ بين الإخوةِ
ذاك في الأبرار ربُّ العَلَمِ ... أسوةُ الأحرار في الخَطْب العَمي
سيرةُ الأولاد صنعُ الأمَّهات ... وخِلالُ الخيرِ طبعُ الأمَّهاتْ
زهرةٌ في روضة الصدق البتولْ ... أسوةُ النِّسوة في الحقّ البتولْ
فاقةُ السَّائل أذرت دمعها ... ليهوديٍّ أباعتْ درعَها[1]
كلُّ من في الأرض قد طاع لها ... ورضاها حين تُرضي بعلَها
نُشِّئتْ ما بين صبرٍ ورضا ... في الفَمِ القرآنُ ، والكفُّ الرَّحَى

---

(١) أباع : عرض للبيع ، أي عرضت درعها للبيع لتعطي سائلاً .

دمعُهـا مـن خشيـة الله جـرى ... فـي مصـلاَّهـا يفـوقُ الجـوهـرا
لقـطَ الـروحُ الأميـنُ الـدُّرَرا ... وعلـى العـرش المعلَّـى نثـرا
أنـا لـولا الشَّـرع عـن هـذا نَهَـى ... وإلـى شـرعِ الـرسـول المنتهـى
طفْـتُ حـولَ القبـرِ إجـلالاً لهـا ... نـاثـراً مـنْ سَجَـداتـي حـولهـا

***

خطابٌ إلى المرأةِ المسلمة

مُشعـلٌ مصبـاحُنـا مـن نـارِكِ ... عِـرضُنا فـي الصَّـون مـن أستـارِكِ
خَلْقُـك الطَّـاهـرُ فينـا رحمـةُ ... قـويَ الـدِّيـنُ بـه والأمّـة
طفلُنـا علَّمتِـه حيـن الفِطـام ... كِلْمـةَ التـوحيـد مـنْ قَبـل الكـلامْ
صِيـغَ مِـنْ حُبِّـك أطـوارٌ لنـا ... فِعْلُنـا ، أقـوالنـا ، أفكـارُنـا
بـرقُنـا فـي سُحُـبٍ منـك ثـوَى ... شَـعَّ فـي الأطـواد ، والبيـدَ طـوَى
ضـاء ديـنُ الحـقِّ مـن أنفـاسِـكِ ... ونمـا التـوحيـدُ فـي أحجـارِكِ
ذلـكِ العَصـرُ غـرورٌ مـاكـرُ ... وعلـى الأديـانِ بـاغٍ فـاجـرُ
عقلُـه أعمـى وبـالله كفَـرْ ... كـم جهـولٍ فـي شِـراكٍ قـد أسَـرْ
عينُـه عيـنُ وقـاحٍ فـاتـكِ ... بِشباكِ الهُـدْبِ كـم مـنْ هـالـكِ !
صيـدُه يحسَـب حـرّاً نفسَـهُ ... مَيْتُـه يـزعـمُ قصـراً رَمْسَـهُ[1]
بـكِ يخضـرُّ غِـراس الـوَحـدةِ ... بـكِ ينمـو رأسُ مـال المِلَّـة
لا تسيـري غيـرَ نهـج السَّلَـفِ ... لا تبـالـي بجـدىً أو تَلَـفِ
احـذري فتنـةَ عصـرٍ مُهلـكِ ... وإلـى صَـدْرِكِ ضمِّـي وُلْـدَكِ
بَعُـدتْ عـن عشِّهـا فـي خطـرِ ... هـذه الأفـراخ ، لمَّـا تطِـرِ

---

(١) الأسير في أغلال هذا العصر يظنُّ نفسه حراً ، والميت يحسب رمسه قصراً لا يدري هذا أو ذاك ما هو فيه من عبودية أو هلاك .

فيكِ تسمو للمعالي فطرةُ ... فاتبعي الزهراءَ ، نعمَ الأسوَةُ
علَّ غصناً منك يأتي بحُسَيْن ... فترى النضرَةَ رَوْضاتٌ ذَوَيْن

* * *

خلاصة مطالب المنظومة

في تفسير سورة الإخلاص

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

ظهر الصِّدِّيقُ لي في الحُلُمِ ... مُزهِراً منه ترابُ القدَم
ذا « أمنُّ الناسِ » فينا مَن جَلا ... طُورُنا منه الكليمَ الأولا[1]
هو ثاني اثنين في الدِّين وفي ... صحبة الغار وفي القبر ، الوفي[2]
قلتُ : يا صفوةَ أصحابِ الصَّفاء ... مطلَعَ الدِّيوان من أهل الوفاء !
بكَ قرَّ الأسُّ في بُنياننا ... فانظرنْ ما الطبُّ من أدوائنا
قال : حتَّامَ أسيرُ الوَهَمِ ... سورةُ الإخلاص بُرء السَّقَم
نَفَسٌ في كلِّ صدر جائلُ ... وهي للتوحيد سرٌّ هائلُ
فاجلُ هذا السرَّ في كل الفِعالْ ... ولتكن منه مثالاً للجمال
الذي سمَّاك عبداً مُسلما ... بكَ للوحدةِ في الدُّنيا سَما
قلتَ : أفغانٌ ، وتركٌ وعَجمْ ... لم تَزُلْ عما تعودتَ القَدَمْ
طهِّرنَّ الحقَّ من هذي السِّماتْ ... اقصدِ البحر وخلِّ القَنَواتْ
يا أسيراً لِسماتٍ ويحكا ! ... قد بَعُدتَ اليوم من دَوحتِكا
أبدل الوحدةَ بالتثنيةِ ... لا تقطِّع صاحِ ! حبلَ الوَحْدَةِ

---

(١) إشارة إلى الحديث : « أمنُّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر » .
(٢) كان ثاني الرسول في الدخول في الإسلام وفي الغار ، وفي القبر إذ كان أول من دفن بجانبه .

عـابـدَ الـواحـدِ ! وحِّـد واهجـرن ... كـلَّ تفـريـقٍ وللحـقِّ ارجعَـنْ
أيُّهـا المُغفـلُ معنـى الكلـمِ ... أثْبِتَـنْ فـي القلـب ألفـاظَ الفَـمِ
أمـةً قطَّعتَهـا فـي أمـمِ ... وهَـدَمْـتَ الحصـنَ فيـه تحتمـي
قُـوَّةَ الإيمـان زِدْ بـالعمـلِ ... مـات إيمـانٌ إذا لـم يَعمـلِ

***

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾

أشعِـرَنَّ القلـبَ « الله الصمـد » ... تَخَلَّصَـنْ مِـنْ قيـد أسبـابٍ وحـدّ
ليـسَ عبـدُ اللهِ عبـدَ السبَـب ... مـا الحيـاةُ الحـقُّ دورَ اللَّـولـب[1]
ليـسَ غيـرَ الله يـرجـو المسلـمُ ... وهْـو للنَّـاس جميعـاً سَلَـمُ
لا تبُثَّـنَّ شَكـاةً أحـدا ... لا تمـدَّنَّ إلـى الخَلـق يـدا
بـالشعيـر اقنـع ، تقيَّـل حيـدرا ... مـرحبـاً فـاقتلـه ، وافتـح خيبـرا[2]
فيـمَ لـلأجـواد حمـلُ المِنَـنِ ... أنـت ، مـنْ لا ونعَـم فـي حَـزنِ
لا تـرُم رزق لئيـمٍ يُنغـصُ ... يـوسفٌ أنـت ، فـأنَّـى ترخُـصُ ؟
إنْ تكـن نمـلاً وكنـتَ المقْعَـدا ... لا تـؤمِّـل مـنْ سليمـان جَـدَى
خفِّـفِ الـزاد ، طـريـقٌ وعِـرُ ... عـشْ ومـتْ حـرّاً . عـداك الغَـرَرُ
اجعلن « أقلِلْ من الدُّنيا » الشِّعارْ ... و« تعـش حـرّاً » بهـا كـلَّ الفخـار[3]
وكـن الإكسيـرَ لا التُّـربَ بهـا ... معطيـاً لا سـائـلاً . فـي حبِّهـا[4]

---

(١) إن أخْلَصَ الإنسان لله ، وتوكَّل عليه لا يقيده ما يقيد الناس من أسباب ، بل يخلق هو وسائله إلى غاياته ، وليست الحياة دورات آلية بل فيها إرادةُ الإنسان وعزيمته .
(٢) مرحب : أحد رؤساء اليهود في خيبر ، قتله عليٌّ رضي الله عنه .
(٣) إشارة إلى ما يروى عن عمر رضي الله عنه : « أقلل من الدنيا تعش حراً » .
(٤) الضمير يرجع إلى الدنيا .

« بو عليٍّ » ليس مجهولًا لديك ... جَرعةً من كأسه أهدى إليك :[1]
« تخت قابوس اركلنْ بالأرجل ... ابذل الرأس وبالعرض ابخلِ »
يُفتح الحانُ عَجولًا نفسَه ... لفقيرٍ لم يدنِّس كأسه

* * *

قائدُ الإسلام هارون الرشيدْ ... مَنْ سقَى نقفورَ من ماءِ الحديد[2]
قال : يا مالكُ مولى الأمَّةِ ... أنت يا رونقَ وجه الملَّةِ
أنت يا بلبلَ فردوسِ الحديث ... إنَّني أرغب في درسِ الحديث
لِمَ يُخفى ذا العقيقَ اليمنُ ؟ ... اقصدَن بغداد ، نعم الوطن[3]
حبَّذا زهرةُ أيامِ العراق ... حبَّذا حسنٌ به الأعينَ راقْ
تربُه فيه منَ السُّقْمِ نجاه ... قاطرٌ منْ كرْمِه ماءُ الحياه
قال : « إني خادمٌ للمصطفى ... وبحسبي حبُّه لي شرَفا
أنا ، من قُيِّدتُ في حُبِّي لهُ ... كيف أنأى عن مكانٍ حلَّهُ
لي في يثرب حبٌّ واشتياق[4] ... أين من ليلي بها صبحُ العراق ؟
ويقول العشق : أمري امتثلا ... لستُ أرضى بملوكٍ خَوَلا
أنت تبغي أن تُرَى لي سيِّدا ... أن تُرى مولىً لحرٍّ عُبِّدا
ألتعليمك أغشى بابَكا ... خادمُ الأمَّة لا يعنو لكا
إنْ تَرُمْ في الدين علماً يُقتنَى ... فاغشَيَنْ حَلْقة درسي هاهنا »

* * *

---

(١) هو أبو علي قلندر أحد كبار الصُّوفية في الهند ، وقد سبقت ترجمته في القسم الأول لديوان « الأسرار والرموز » ، وما بين القوسين من شعره .

(٢) نقفور : أحد ملوك البيزنطيين حاربه الرشيد فهزمه .

(٣) اليمن : من مواطن العقيق . يعني : لماذا يبقى مالك في الحجاز كما يبقى العقيق في معدنه .

(٤) في الأصل : أنا حيٌّ بتقبيل تراب المدينة . وقد خففت العبارة في الترجمة .

الـذي استغنَـى جـديـرٌ بـالـدَّلال ... فـي دلالٍ عنـده كـلُّ جمـال
صبغـةَ الحـقِّ مَـن استغنـى اكتسَـى ... ورأى صبـغَ سـواه دَنَسـا
أنـت مِـنْ غيـرك تجـدو علمكـا ... بطـلاءٍ منـه تَطلـي وجهكـا
أنـت منـه بِشعـارٍ تفخـرُ ... أنـت ذا أمْ غيَّـرتـك الغِيَـر ؟[1]
خَشَعـتْ أرضُـك مـن أمطـاره ... وخـلا البستـانُ مـنْ أزهـاره
مطـراً مِـنْ مـزنـه لا تجتـدي ... لا تُبِـدْ زرعَـك عمـداً بـاليـدِ
سَلْسَلَـتْ عقلَـكْ أفكـارٌ لـه ... مـلأتْ حَلْقَـكَ أوتـارٌ لـه
مستعـارٌ كَلِـمٌ فـي فمكـا ... مستعـارٌ أمـلٌ فـي قلبكـا
أعـوزتْ طيـرَك ألحـانُ الغنـاء ... ليس في سروك في الجوِّ رُواء[2]
أنـت فـي كـأسـك خمـراً تجتـدي ... وكـذاك الكـأس جـدوى فـي اليـد
لـو يعـودُ اليـومَ فينـا ذو النظـرْ ... من به تصديق ﴿ ما زاغ البصر ﴾[3]
مـازَ صـدقـاً وكـذبـاً سمعُـه ... وابتلـى كـلَّ فـراشٍ شمعـه[4]
ثـم نـادى « لستَ منـي » يـا فتـى ... ويلتـا يـا ويلتـا يـا ويلتـا
فَـإلامَ العيـشُ مثـلَ الأنجـمِ ... يَطْلُـعُ الصُّبـحُ لهـا بـالعـدَم
أنـت قـد غـرَّك صبـحٌ كـاذبُ ... أنـت عـن نَفْسِـك حقّـاً ذاهـب
أنت شمسٌ نَفسَك اعرِف كلَّ حين ... لا تُضئْهـا مـنْ نجـوم الآخـريـن
إنَّ فـي قلبـك نفسـاً مـن سـواك ... بـاعَـتِ الإكسيـرَ بـالتُّـربِ يـداك
بسـراجِ النـاس مغنـاك أضـاء ... وبخمـر النَّـاس فـي الـرأس انتشـاء

---

(١) هل أنت أيها المسلم كما عهدتك ، أم أنت إنسان آخر .

(٢) السَّرو : شجر طويل شكله كالسنبلة دائم الخضرة ، جميل التمايل . يقول الشاعر إنَّ طيرنا لا يستطيع الغناء كالطير ، وسرونا ليس له رواء كالسرو .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] .

(٤) لو عاد الرسول صلوات الله عليه لميز الصادق والكاذب ، وعرف شمعه الفراش الذي يهفو إليه حباً .

لـك حـولَ الشَّمـع فـي الحفـلِ دوار ... اغشَينْ نارك . هل في القلب نار[1]
ابـقَ فـي مثـواك مثـلَ البصـر ... لا تـدَعْ عُشَّـك مهمـا تَطِـر[2]
حَـيَّ فـردٌ نفسَـه قـد عَـرفـا ... وقبيـلٌ عـن سـواه صَـدفـا[3]
عـن طـريـق المصطفـى لا تـذهبَـنْ ... واتـرك الأربـابَ ، واللهَ اعبُـدَنْ

* * *

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾

قـد عـلا قـومُـكَ عـن لـونٍ ودَمْ ... وعـلا أسـودُه حُمـرَ الأمـم
فـي وضـوءٍ قطـرةٌ مـن قنبـر ... هـي أغلـى مـن دمٍ مـن قيصـرِ
اتـركـن عمَّـاً وأمَّـاً وأبـا ... وكَسلمـان إلـى الـديـن انسبـا[4]
يـا خليلـي اسمـع حـديثـي واعقِـلا ... مـن خـلايـا النَّحـل هـذا المثـلا :
قطـرةٌ مـن شَقـرٍ كـالقَبَـسِ ... ثـمَّ أخـرى مِـنْ بيـاضِ النَّـرجـسِ
لـم تقُـلْ هـذي : أنـا نَيلَـوْفَـر ... أو تقـلْ هـاتيـك إنِّـي عَبهَـرُ
شـأنُ إبـراهيـمَ فـي ملتنـا ... ديـن إبـراهيـم فيـه شهـدُنـا
إنْ جعلـت الـدمَ ركـنَ الملَّـة ... صـدَعـتْ دعـواك جمـعَ الإخـوة
فـي ثَـرانـا ليـس ينمـو بَـزْرُكـا ... أنـتَ مـا أسلـم حقّـاً فكـرُكـا

---

(١) هنا يقول الشاعر : لا تكن فراشاً يهفو على نار غيره بل اصطل نارك إن تكن في قلبك نار .

(٢) مذهب إقبال أن يثبت الإنسان في نفسه ، يبعد السير ولكن لا يخرج من منهاجه . فليكن كالبصر ، يتقلب في العالم ، وهو مكانه ، وكالطائر يحلق في الجو ولا ينسى عشه . يعني أن يكون في فكره وعمله صادراً عن عقيدته وإحساسه هو .

(٣) حياة الفرد أن يعرف نفسه ويعتدَّ بها ، وحياة الجماعة أن تعتمد على نفسها ، وتصدف عن غيرها .

(٤) يروى أنَّ سلمان الفارسي رضي الله عنه سئل عن نسبه ، فقال : سلمان بنُ الإسلام .

ابـــنُ مسعـــودٍ سِـــراجُ المتَّقيـــن جسمـــهُ والـــرُّوح وَجْـــد المُخبتيـــن
أجَّ مـــن مـــوت أخيـــه صَـــدْرُه وأذابَ القلـــبَ منـــه جمـــرُه
لـــم يجـــفَّ الـــدَّمـــع مـــن حـــرقتـــه نـــاحَ نَـــوحَ الأمِّ فـــي لَـــوعتـــهِ :
« آهِ للقـــــارىء درسَ العظـــــةِ ورفيقـــي فـــي طـــلابِ الحكمـــةِ »
« آهِ للسَّـــرو الـــذي قـــد وَرَفـــا وشـــريكـــي فـــي ولاءِ المصطفـــى »
« عينُـــه تُحـــرَم إبصـــار النَّبـــيّ وأنـــا أشهـــد أنـــوار النبـــي[1] »

* * *

مـــا مـــن الأنســـاب يَقـــوَى وصلُنـــا ليـــس مـــنْ رومٍ وعُـــرب أصلُنـــا
إنمـــا حـــبُّ الحجـــازيِّ الحبيـــب قـــد حبانـــا ذاكـــمُ الـــوصـــلَ القـــريـــب
حَسْبُنـــا آصـــرةٌ مـــنْ حُبِّـــهِ حســـبُ عيـــن نشـــوةٌ فـــي قـــربـــه
جـــدَّد الـــدَّهـــرُ بنـــا سيـــرتَـــهُ مُـــذْ حـــوت أعـــراقُنـــا نشـــوتَـــه
عشقُـــه سِـــرُّ اجتمـــاع الأمَّـــةِ نبضَـــت منـــه عـــروقُ الملَّـــة
صلـــةُ العِشْـــقِ لنـــا أقـــوى سَبـــب هو في الروح ، وفي الجسم النسب
أيهـــا العـــاشـــق خـــلَّ النَّسبـــا خـــلَّ إيـــران ، وخـــلَّ العَـــربـــا
نـــورُ حـــقٍّ مثلَـــه أمَّتُـــه قـــد نمـــت أغصـــانَنـــا دوحتُـــهُ
« نـــور حـــقٍّ مـــا حـــواه نســـبٌ ثوبُ حقٍّ ، لا سِدًى أو لُحمةُ »[2]
مـــن ثـــوى فـــي نســـبٍ أو بلـــدِ قد غَفا عن ﴿ لم يلدْ ولم يُولَد ﴾

* * *

---

(١) يقصد الشاعر من هذه القصة أن ابن مسعود بكى أخاه لما جمعهما من صلة بالنبي لا من صلة النسب .

(٢) البيت لجلال الدين الرومي .

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

صاحِ ! ما المسلمُ للدُّنيا احتقرْ ... عامِراً بالحقِّ قلباً قد عمر ؟
زهْرةٌ من شَقِرٍ في القُننِ ... لم تَرُعها طلعةٌ من مُجتنِ
نَفساً ينفخ فيها السَّحَرُ ... فتراها لهباً يستعرُ
تُشفق الزُّهرُ عليها تحسَبُ ... أنَّها خُلِّف عنها كوكبُ
النَّدى منها نُعاساً يَغسِل ... وشُعاعُ الشَّمس فيها قُبَلُ
﴿ لم يكن ﴾ أمسِكْ بها واشدُد يدا ... لتُرى في الناس حُرّاً أوحَدا
ذلك الواحدُ لا شرِكَ له ... عبدُه يأبى شريكاً مِثلَه
قد سما المسلم أعلَى مَنْ سَما ... ليس يرضى بمُسامٍ في السَّما
وِردُه ﴿ لا تحزنوا ﴾ في المأزِق ... ﴿ أنتم الأعلَون ﴾ تاجُ المَفرِق
حملَ الكونين طرّاً ظَهرُه ... وحوى برّاً وبحراً صدرُه
أذْنُه للرَّعد إمَّا جَلجلا ... صدرُه لِلْبَرق إمَّا نزلا
قاتِلُ الزُّور ، وللحقِّ وزَرْ ... أمرُه المعيار في خيرٍ وشرّ
جمرُه كلُّ لهيبٍ في حشاه ... جوهرٌ فيه كمالٌ للحياه
ليس في ضوضاء هذي الأمم ... نغمةٌ إلا أذانَ المُسلمِ
هو في العفو وفي البذل عظيمْ ... وهو حين القَهر ذو طبعٍ كريم
لُطفُه في الحَفلِ جبرُ المنكسِرْ ... قهرُه في الحرب صهرٌ للحجَر
هو في الرَّوض صفيرُ البُلبلِ ... وهو في البِيد انقضاض الأجدل
قلبه تحت سَماءٍ لا يقرّ ... هو فوق الزُّهْرِ ما إن يستقرّ
طائرٌ ينقُر نجمَ الحُبكِ ... طائراً فيما وراء الفَلَكِ
أنتَ ، يا منْ لم يَطِرْ منك جَناحْ ! ... دودةٌ في ظلمةِ التُّرب تُراح
مستكينٌ تشتكي جور الزَّمانْ ... قد أصبتَ الذُّلَّ من هَجر القُران[1]

---

(١) القران : القرآن .

قد هَبَطْتَ الأرضَ طُهراً كالنَّدى ... بالكتاب الحيِّ أمسكت يدا
فإلام العيشُ في التُّرب ؟ ارحلا ... اصعدَنْ فوق السمواتِ العُلَى

* * *

شكوى المصنف إلى من أرسل رحمةً للعالمين

نَضَّرَتْ منك مُحيَّاها الحياه ... ورأت تعبيرَ رؤياها الحياه
الجهاتُ الستُّ نورٌ يَسطعُ ... منك ، والأقوامُ جمعاً تَبعُ
إنَّ فقراً فيكَ ذخرُ الكائنات ... قد تعالى بك قدرُ الكائنات[1]
أنتَ أشعلتَ مصابيح الحياه ... وحبوتَ النَّاس من رقٍّ نجاه
صُورُ الكون بدت من دونكا ... فاقةً تشكو وتشكو الحَلَكا
نَفَسٌ منك أطار الشَّررا ... فاستحالَ الطِّينُ مِنْهُ بشرا[2]
وَسَمَتْ للنَّيرينِ الذَّرَّة ... وتجلَّتْ من حَشاها القوّة
من أبي أنت وأمي أقرب ... مذ رأى وجهَك طَرفي المعجَبُ
عشقُك النارَ بجسمي يُضرِم ... فليُذِبْ روحيَ منه ضَرَمُ
ومتاعي أنَّهُ مثلَ الرَّبابْ ... إنها المصباح في بيتي الخراب
كيف لا يُبدي شَجٍ أتراحَه ؟ ... كيف لا يُبدي زجاجٌ راحه ؟
ضلَّ عنْ سرِّ النبيِّ المسلمُ ... مؤنثاً قد صار هذا الحرَم[3]
كلُّهم في قلبه يثوي هُبَلْ ... ومناةٌ فيه والعُزَّى تحُل

---

(١) الفقر عند إقبال ، كما هو عند الصوفية ، ألا يستغنى الإنسان إلا بالله . انظر مقدمة « ضرب الكليم » .

(٢) يعني : أنَّ الكائنات قبلك كانت في ظلامٍ وفاقةٍ وحاجةٍ إلى من يبعث فيها الحياة والقوة .

(٣) المسلم صار بيت أوثان بما في نفسه من أهواء ، وعبادة للكبراء .

شيخُنا يفضله البرْهَمَنُ ... سُمناتٌ رأسَه يستوطنُ[1]

هجر العُربَ ، وفي العُرْبِ عِصَمْ ... وأطال النَّوم في حانِ العجم

فتَّ بَردُ العُجمِ في أعضائه ... دمعُه أبردُ من صهبائه

هو ، كالكافر ، يَخشى الأجلا ... صَدْرُه من قلب حيٍّ قد خلا

داؤه كلُّ طبيبٍ ما شفا ... فحملتُ النَّعشَ عند المصطفى

هالكاً عرَّفته ماء الحياه ... ومن القرآن أسرار النَّجاه

قلتُ عن أحباب نجدٍ قِصَّتي ... حَدثتْ عن روضِ نجدٍ نفحتي

فأضاء الحفلَ من لحني أياة ... ودَرى قومي أسرار الحياة[2]

* * *

قيلَ : أُهدي سحر أوْرُبَّة لنا ... وبقانونِ الفرنج افتتنا[3]

واهبي عودَ سُلَيمى كرَما ... والأبوصيريَّ بُرداً كرُما[4]

اهدِ للحقِّ ، الذي قد أفكا ... الذي يجعل ما قد ملكا[5]

إنْ يكن قلبي غَوَى لا يُبصرُ ... أو سوى القرآنِ لفظي يُضْمِرُ

أنت يا من نورُه صبحُ العُصور ! ... أنت يا عالمَ أسرارِ الصدور !

اهتكنْ أستار فكري وافضحنْ ... طهِّرن من شوكتي روضَ الزَّمن

وحياتي اقطع لأجل الأمَّةِ ... واكفيَنْ شرِّي أهلَ الملةِ

أبعدنْ عن روضتي الغيث المَريع ... واحرمنِّي من شآبيبِ الرَّبيع

جفِّفِ الراح بكَرمي عاجلا ... واملأنْ واحيَ سُمَّاً قاتلا

---

(١) سمنات : بيت أصنام معروف في الهند أخربه السلطان محمود الغزنوي ، ويعيد الهنادك بناءه اليوم .

(٢) الأياة : شعاع الشمس .

(٣) القانون : آلة موسيقية . وفي الكلام تورية بالقانون الذي معناه الشرع .

(٤) الأبوصيري الشاعر ناظم البردة . وعود سليمى يراد به قوة العرب في الأدب والغناء .

(٥) اهد من ادعى أن فلسفتي مأخوذة من الفرنج ؛ لأنه يجهل ما في دينه من قوانين .

واخـــزِيَنِّـــي يـــوم حشـــر الأمـــم ... واحـــرمَنِّـــي منـــك لثـــمَ القـــدَم
أو أكن أخلصت نصحي في البيانِ ... ونظمـــت الـــدُّرَّ مـــنْ سـرِّ القُـــرانِ
فـــدعـــاءٌ منـــك أجـــري وكفـــى ... بـــكَ كـــمْ نـــال وضيـــعٌ شـــرَفـــا
اســـألـــنَّ اللهَ ربَّ العـــرش لـــي ... يجعلَـــنْ عشقـــي قـــريـــنَ العمـــل
ربِّ قـد أنعمـتَ بـالـرُّوح الحـزيـن ... ونصيبـاً شئتَ لـي مـن علـمِ ديـن
فـاجعلَـنْ فـي الفعـل حظِّـي أوفـرا ... واجْعَلـــنْ قَطـــرَ ربيعـــي دُررا

***

أمـــلٌ آخـــر فـــي القلـــب أقـــام ... مُـذْ حـوىٰ قلبـيَ فـي الـدنيـا مُقـام
هـــو فـــي صـــدري كقلبـــي نـــزلا ... شـــاهـــداً صبـــحَ حيـــاتـــي الأوَّلا
أمـــلٌ أذكيـــتُ منـــه لهبـــي ... مُـذْ شـدا بـاسمـك أمـي وأبـي
كلَّمـــا غيَّـــض منِّـــي الـــزمـــنُ ... ودهـــانـــي ريبُـــه والمِحـــنُ
شـــبَّ فـــي قلبـــيَ هـــذا الأمـــلُ ... ونمـــا بـــالعتـــق فيـــه الثَّمَـــل
إنَّـــه تحـــت تـــرابـــي جَـــوهـــرُ ... كـــوكـــبٌ فـــي جنـــح ليلـــي يُسفِـــر

***

همـــتُ حينـــاً بـــذواتِ الحـــوَرِ ... وتعشَّقْـــــتُ ذواتِ الطُّـــــرَرِ
وعلـــى الـــرَّاح صحبـــت الغـــانيـــه ... حيـــن أطفـــأتُ ســـراجَ العـــافيـــه
وأحـــاطـــت بَيْـــدري نـــارُ البُـــروقْ ... وغـــزا قلبـــيَ قُطَّـــاع الطـــريـــقْ
وبـــروحـــي لـــم يـــزل هـــذا العُقـــار ... وبكيســـي لـــم يـــزل هـــذا النُّضـــارْ

***

لبـــس الـــزُنَّـــارَ عقلـــي الآزريّ ... وغـــزا روحـــي بـــالنقـــش الفـــريّ[1]

---

(١) الأزري المنسوب إلى آزر ناحت الأصنام ، وهذا العقل الوثني نقش في روحه نقشاً عجيباً .

في إسار الشكِّ أمضيت سنينْ ... وهو في رأسي مقيمٌ لا يَبين
أحرُفاً ما نلتُ منْ عِلم اليقين ... ومن الحكمة في الريب رهين[1]
لم يَلُح في ليل عُمري نورُ حقّ ... لم يُنِرْ ليلي شعاعٌ من شفَقْ
وفؤادي مُضمرٌ هذا الرجاء ... صدَفٌ في قلبه دُرٌّ أضاء
ثمَّ مِنْ عينيَّ دمعاً سَجَما ... وتجلَّى في فؤادي نغما[2]

* * *

يا مَن القلبُ سِواه أغفلا ! ... ائذَنَنْ أذكر هذا الأملا
سيرتي ما ضاء فيها العملُ ... كيف مثلي مثلَ هذا يأمُلُ ؟
أنا مِنْ إظهاره في خجَلِ ... منك لُطفٌ يسَّرَ الجُرأة لي
يا رحيماً بك للناس مفاز ... كلُّ ما أبغيه موتي في الحجاز[3]
هَجْرُ غير الله شأنُ المسلمِ ... كيف لي عيشٌ ببيت الصنم ؟
حسرةُ المسلم إنْ حُمَّ الممات ... أن يكون الدَّيرُ مثوى للرُّفات[4]
ويلَ يومي ، وهنيئاً لغدِي ... إن أقُمْ في ذا الحِمَى من لَحَدي
حبَّذا أرضٌ تراها موطنا ! ... حبَّذا تربٌ تراه مسكنا !

---

(١) الحكمة : الفلسفة .

(٢) هذا الأمل الّذي كرر الشاعر ذكره وأطال في وصفه تحوَّل دمعاً سجم في عينيه ، ونغماً رنَّ في قلبه .

(٣) كرَّر الشاعر هذا الرجاء في شبابه قبل وفاته بثلاثين سنة إلى أن توفي ، وروى الأستاذ يوسف جشتي شارح دواوينه الشعرية أنَّ أحد أصحاب محمد إقبال دخل عليه في يناير سنة ١٩٣٨م (أي : قبل وفاته بثلاثة أشهر) وأخبره أنه عزم على الحجِّ ، وسأله أن يدعو اللهَ ليقبل حجَّه ، فبكى إقبال بكاءً شديداً وقال : بل أسأل الله أن ييسِّر لي زيارة روضة الحبيب ﷺ .

(٤) يعني : أن بلاد الهند يسيطر عليها الإنكليز ، وليست بلاداً إسلامية خالصةً ، فهي ليست جديرة أن يعيش فيها المسلم ، أو يعبر فيها .

« دارُ حبِّـــي ومليكـــي والسَّكـــن أيَّها العُشَّاقُ ! ذا نِعْمَ الوطن »[1]

كـوكبـي أطلِعْـهُ بـالسَّعـد غـدا في ظـلال الـدَّار هـبْ لـي مـرقـدا

ليـــرى الـــراحـــةَ قلبـــي القلِـــقُ ويـــرى الهـــدأةَ هـــذا الـــزئبـــقُ

أيُّهـا الـدَّهـر انظـرَنْ هـذا السَّـلام قـد رأيـتَ البـدءَ فـانظرْ مـا الختـامْ

* * *

(١) هذا البيت أحسبه مقتبساً من جلال الدين الرومي . والسكن هنا : من يسكن إليه الإنسان ، ويطمئن .